الصهيـونـيّة والاستعمار الاستيطانيّ: مقاربات فلسطينيّة

ندين روحانا عرين هوّاري
محرّران

مدى الكرمل
المـركـز العـربـي للـدراسـات الاجتماعية التطبيقية

الصهيونيّة والاستعمار الاستيطانيّ: مقارَبات فلسطينيّة
تحرير: نديم روحانا وعرين هوّاري

Zionism and Settler Colonialism: Palestinian Approaches
Edited by: Nadim N. Rouhana and Areen Hawari

التدقيق اللغويّ: حنّا نور الحاجّ
التصميم: أمل شوفاني
مسؤولة النشر والإنتاج: إيناس خطيب

لوحة الغلاف: "استيطان" للفنان الفلسطينيّ نبيل العناني.
نبيل العناني: فنان تشكيليّ، وُلد في قرية اللطرون (فلسطين) عام 1943.

ISBN: 978-965-7308-28-8
© كل الحقوق محفوظة 2023
مدى الكرمل- المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة
شارع هميچينيم (الملك جورج) 90، حيفا
هاتف: 048552035، فاكس: 048525973
www.mada-research.org
mada@mada-research.org

المحتويات

5 **المقدّمة**
ندیم روحانا وعرین هوّاري

19 **الباب الأوّل: الاستعمار الاستيطانيّ: مقارَبات نظريّة**

21 المقاومة الفلسطينيّة ومعضلة الشرعيّة لدى الاستعمار الاستيطانيّ في فلسطين: الصهيونيّة تردّ بالسرديّات الدينيّة
ندیم روحانا

57 جدليّة الاستيطانيّ والاستغلاليّ في بنْية الاستعمار الإسرائيليّ: الأراضي المستعمَرة عام 1967 نموذجًا
أحمد عزّ الدين أسعد

83 قراءة مقارِنة بين الحالتين الاستعماريّتين في فلسطين والجزائر
أباهر السقّا

119 الكولونياليّة الاستيطانيّة في السياق الإسرائيليّ _ الفلسطينيّ، تفكيك الاستعمار، وعلم اجتماع إنتاج المعرفة في إسرائيل
أريج صبّاغ خوري

173 بنيامين نتنياهو وإعادة إنتاج المشروع الصهيونيّ ضمن منظومة صراع الحضارات
مهنّد مصطفى

193 **الباب الثاني: السياسات الاستعماريّة الاستيطانيّة للمشروع الصهيونيّ**

195 الاقتصاد السياسيّ تحت النظام الكولونياليّ ونشوب ثورة 1936
محمود يزبك

221 البحث عن الجولان التوراتيّة: مُخيّلات يهوديّة وتأسيس الجغرافيا الاستيطانيّة في القرن التاسع عشر
عامر إبراهيم

249 سياسات نزع الطفولة ("اللا_طفلنة"): تعقُّب آثار الكولونياليّة الإسرائيليّة
نادرة شلهوب كيفوركيان

285 السياسة الحيويّة للمحو الطبقيّ الفلسطينيّ في سوق العمل الاستعماريّ
سراب أبو ربيعة قويدر

305 **الباب الثالث: في فاعليّة المستعمَر**

307 السيّدة كيرن كَييمت: تَشكُّل هُويّات رجوليّة فلسطينيّة
في ظلّ الحكم العسكريّ
عرين هوّاري

341 مفهوم التطبيع ضمن بنْية الاستعمار الاستيطانيّ في فلسطين
ما بين ثنائيّة الرفض والقبول
مَي البزور

387 الاستعمار الاستيطانيّ ومهجَّرو المدن الفلسطينيّة:
ما بين المدن المهجَّرة ومدن المهجَّرين
هبة يزبك

419 الذاكرة كموقع مقاومة: تحرير التاريخ من أَسْر حاضر مستعمَر
أميرة سِلْمي

447 المشروع الاستيطانيّ الصهيونيّ في الأغنية الشعبيّة السياسيّة:
قراءة في الشفاهيّة الفلسطينيّة الثوريّة 1917-1952
قَسَم الحاجّ

483 المساهِمون

الكولونياليّة الاستيطانيّة في السياق الإسرائيليّ _ الفلسطينيّ، تفكيك الاستعمار، وعلم اجتماع إنتاج المعرفة في إسرائيل[1]

أريج صبّاغ-خوري[2]

ملخَّص

ترتبط المعرفة ارتباطًا وثيقًا بالسلطة في سياق الكولونياليّة الاستيطانيّة، حيث تشكّل المعرفة لشأن "الآخَر" أداة للهيمنة. من خلال تتبُّع تطوُّر پَرَدايْم "الكولونياليّة الاستيطانيّة" وأهمّيّة التعامل معه كإطار نظريّ لتحليل الحالة الفلسطينيّة، تفكّك هذه المقالة الاستلاب الصهيونيّ والإسرائيليّ للأراضي والسيادة الفلسطينيّة، وتطبّق علم اجتماع إنتاج المعرفة في دراسة الحالة الإسرائيليّة _ الفلسطينيّة. عاد پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة، المرتبط في السياق الإسرائيليّ بعلم الاجتماع النقديّ الإسرائيليّ، وما بعد الصهيونيّة، وما بعد الاستعمار، إلى الظهور في أعقاب التغييرات التي طرأت على المشهد السياسيّ منذ منتصف تسعينيّات القرن المنصرم، والذي أعاد تأطير النكبة كمستمرّة، وتحدّى التعريف اليهوديّ لدولة إسرائيل، وشَرْعَنَ وجود الفلسطينيّين كوكلاء للتاريخ، حيث قام الأكاديميّون والأكاديميّات الفلسطينيّون والفلسطينيّات بدَوْر مهمّ في ذلك. يقدّم هذا المقال فينومينولوجيا المكانة الفلسطينيّة داخل إسرائيل، وهي مَوْقَعة حاسمة ومُهِمّة من أجل إزالة البنْية الكولونياليّة الاستيطانيّة وتحدّي يهوديّة الدولة، وكذلك يطرح المقال أهمّيّة پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة في إنتاج المعرفة النقديّة حول فلسطين، ويطرح مقارَبات فكريّة لإنهاء الاستعمار والعمل على إنتاج أفق فكريّ لمشروع تحرُّريّ.

1. يُشار إلى أنّ هذه المقالة نُشرت بالإنجليزيّة في مجلّة "السياسة والمجتمع" (Politics & Society) تحت العنوان:
Tracing Settler Colonialism: A Genealogy of a Paradigm in the Sociology of Knowledge Production in Israel

2. أودّ أن أشكر كلًّا من برينكلي ميسيك، وچادي إلچازي، وكاوانوي كوهولاني، على تعليقاتهم العميقة والمثرية، وجويل بينين، وخوسيه إيتزخْسون، وليزا لوي، وجي سيدمان، على قراءة الصيغ السابقة لهذه المقالة بالإنجليزيّة وتقديم ملاحظاتهم السخيّة. كما أودّ أن أشكر جلال حسن وناجح أبو شمسيّة على ترجمتهما للمقالة إلى العربيّة.

مدخل

أُستُخدمَ پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة، الذي أخذ في التبلور في ستّينيّات القرن الماضي بموازاة سيرورة تفكيك الاستعمار (Decolonization) في الشرق الأوسط وأفريقيا، لفهم سياق الاستعمار الصهيونيّ في فلسطين، حيث وظّفته سلسلة من الأكاديميّين، ومن ضمنهم فايز صايغ (1965)، ومكسيم رودِنسون (1973/1967)، وجورج جبّور (1970)، وأبو لغد وأبو لبن (1974)، وجميل هلال (1976)، وعبد الوهّاب المسيري (1977)، وروز ماري صايغ (1979)، وإدوارد سعيد (1979c)،[3] للتعريف بالواقع الذي نشأ في فلسطين. بَيْد أنّ المصطلح لم يتكرّس في الأكاديميا الإسرائيليّة إلّا بعد حين.[4] فعلى الرغم من طابع مشروع الاستعمار الاستيطانيّ المستمرّ في فلسطين (أو ربّما بسبب هذا الطابع)، برز غياب دراسات الكولونياليّة الاستيطانيّة كمجال بحث في الدراسات حول إسرائيل /فلسطين نحو أربعة عقود.[5] لكنّنا شهدنا مجدَّدًا، في العَقدَيْن الأخيرَيْن، تركيزًا على إسرائيل /فلسطين من قِبل مجموعة من المنظّرين في مجال الكولونياليّة الاستيطانيّة، ومنهم المنظّر الأسترالي الراحل وولف (1999، 2006)، وإلكينس وپيدرسن (2005)، وڤيراتشيني (2010)، إذ أسهمت دراساتهم في إحداث تحوُّل في مسار هذا المجال البحثيّ الذي تركت الصراعات المتجّددة للشعوب الأصليّة حول العالم بصماتها عليه.

تناقش هذه المقالة عودة بروز پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة في سياق الحالة الفلسطينيّة _ الإسرائيليّة، متناولةً راهنيّته الخاصّة في تحليل المشروع الصهيونيّ، وباحثةً في تطوُّره كأداة تحليليّة ضمن الأكاديميّة الإسرائيليّة، بالتركيز على مجالَيْ بحثٍ محوريَّيْن أنتجا، بدَوْرهما، نقدًا ذا أرضيّة صُلبة للحركة الصهيونيّة ولسرديّتها الرسميّة بشأن أحداث العام 1948. والمجالان الأساسيّان هما التاريخ وعلم الاجتماع.[6] تتبّع المقالة جينيالوجيا المعرفة من خلال ربطها

3. جميع هؤلاء الباحثين، باستثناء رودِنْسون، أكاديميّون فلسطينيّون وعرب.

4. المصطلح "الاستعمار الاستيطانيّ" طوّره دافيد فيلد-هاوس (1966)، وجورج فريدركسون (1981)، اللذان طبّقاه بصورة أساسيّة في إطار المستعمَرات الاستيطانيّة البريطانيّة. ولم يطبّقه على نطاق واسع في إطار فلسطين /إسرائيل باحثون غير عرب إلى أن طبّقه چيرشون شفير (1989).

5. أستخدم الخطّ المائل (/) في "فلسطين /إسرائيل"، وفي "إسرائيل /فلسطين"، بُغية التلميح والتشديد على الفترات المتقطّعة المتعدّدة في تاريخ المناطق التي رُسِمت حدودها خلال الاستعمار البريطانيّ، وتعرقل ترسيمها خلال سيرورات الكولونياليّة الاستيطانيّة. يضع هذا الاستخدام فلسطين جنبًا إلى جنب مع إسرائيل لتصوير كيان جغرافيّ ممزَّق، مُعيدًا فترة فلسطين التاريخيّة، وواضعًا إيّاها على الخريطة، وفي الوعي.

6. يُراد من استخدامي للتعبير "علم الاجتماع في إسرائيل"، عوضًا عن "علم الاجتماع الإسرائيليّ"، وصفُ مجموعة من الباحثين في پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة، فلسطينيّين ويهود _ إسرائيليّين، يحملون مواطَنة إسرائيليّة، ويتحدّثون اللغة العبريّة، لكنّهم -حتّى اليهود بينهم- لا يعرّفون أنفسهم بأنّهم باحثون إسرائيليّون بالضرورة. يحمل غالبيّتهم لقبًا أكاديميًّا واحدًا على الأقلّ، حازوا عليه من جامعة إسرائيليّة، ويُقيم بعضهم خارج إسرائيل، أو في الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة سنة 1967. يعملون في مراكز أبحاث وَ/أو يعملون في جامعات في الضفّة الغربيّة المحتلّة، أو في شمال أمريكا وأوروبا. غالبيّة هؤلاء الباحثين والباحثات على صلة بالأكاديميا الإسرائيليّة، أو تربطهم علاقات بالمجتمع الفلسطينيّ داخل إسرائيل.

بثلاثة ادّعاءات مركزيّة:[7] **أوّلًا**، أدّعي أنّه يُمكننا، إلى حدّ بعيد، أن ننسب عودة ظهور پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة في العلوم الاجتماعيّة والعلوم الإنسانيّة في إسرائيل إلى السيرورة السياسيّة التي شهدها المجتمع الفلسطينيّ داخل إسرائيل في أواسط التسعينيّات، ولا سيّما الشقّ المرتبط بتحوُّل الخطاب السياسيّ من خطاب يروّج لحلّ الدولتَيْن إلى آخَر ينادي بدولة لجميع مواطنيها. انطوى هذا المنعطَف على تحدّي الطابع اليهوديّ لدولة إسرائيل، والمطالَبةِ بتحويلها إلى دولة تستند إلى المساواة الكاملة في الحقوق، بصرف النظر عن الاختلافات الدينيّة والقوميّة. أفضى هذا التطوُّر، فيما بعد، إلى المطالَبة العلنيّة بحقّ اللاجئين الفلسطينيّين بالعودة، وإلى استحضار تاريخ النكبة. **ثانيًا**، على النقيض من تيّارات مثل ما بعد الصهيونيّة، والمؤرخّين الجُدُد، وعلم الاجتماع النقديّ، ونظريّة ما بعد الاستعمار، التي تُركّز -في أساس ما تركّز- على أحداث سنة 1948، أو تنتقد الهيمنة الإشكنازيّة، لم يتحقّق انبعاث پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة على يد أكاديميّين إسرائيليّين يهود، وإنّما بلوره، على الجملة، أكاديميّون وأكاديميّات فلسطينيّون وفلسطينيّات مواطنون في إسرائيل، ومراكز أبحاث فلسطينيّة في إسرائيل. **ثالثًا**، اختارَ باحثو ما بعد الاستعمار، الذين حلّلوا الواقع الاستعماريّ في إسرائيل ومميّزاته، تأطيرَ هذا الواقع كحدثٍ ذي طبيعة تاريخيّة حصلَ في الماضي، لا كسيرورةٍ متواصلةٍ إلى يومنا هذا. على الجملة، تمحورَ هذا الصنف من الأبحاث في الحركة الصهيونيّة، وفي الإسرائيليّين وممارَساتهم، مغيِّبًا الفلسطينيّين من تحليله، أو مبقيًا إيّاهم خارج نطاق النقاش. في المقابل، يتّسم النسق الجديد من البحث بإعادة الفلسطينيّين إلى التاريخ، لا كضحايا فحسب، بل كمحرِّكين للتاريخ، وكأفراد قاوموا وما زالوا يقاومون -عبْر أدوارهم المختلفة، بما فيها دَوْرهم كباحثين- المشروعَ الصهيونيَّ المستمرَّ، وغيّروا ملامحه ضمن هذه السيرورة. وتتجلّى هذه المرحلة الجديدة في التبادل المعرفيّ الفلسطينيّ العالميّ.[8] وربّما كان من غير المتصوَّر صياغة علم اجتماع للمعرفة يتجاوز إطار الدولة القوميّة، التي تقع (على حدّ تعبير بورديو) في مجال مليء باللاجئين والشتات، والمنظّمات السرّيّة، والمجتمع المدنيّ تحت أشكال مختلفة من الاحتلال القائم جنبًا إلى جنب مع مؤسّسات المجتمع الكولونياليّ الاستيطانيّ الراسخة.

إنّ شرح علم اجتماع المعرفة دون حقل موحّد (بمفهوم بورديو)، إلى جانب تتبُّع الهيمنة في مجال مبعثر ومستقطب للغاية، ليس سوى تحدٍّ كبير أسعى جاهدة لأن أبدأه هنا. وفي نهاية المطاف، أشير إلى الادّعاء المعروف أنّ التنظير هو في حدّ ذاته ممارسة سياسيّة (لا

7. قارِنوا جينيالوجيا أنثروپولوجيا فلسطين (Furani & Rabinowitz, 2011).

8. انظروا -على سبيل المثال-:
(Abu-Lughod, 2020; Erakat, 2019; Jabary-Salamanca et al., 2012; Khalidi, 2020; Masri, 2017; Mikdashi, 2013; Seikaly, 2015).

تنفصل عنه) في حالة التابع (Subaltern). ويُبرِز البَرَدايْم الكولونياليُّ الاستيطانيُّ الطرُقَ التي تُنظَّم عبْرها كلّ من المعرفة المهيمنة والبنى الاستعماريّة، على حدّ سواء، من أجل إبطال إمكانيّات بديلة. من خلال الجينيالوجيا التي أقدّمها، أشير إلى شرط مسبق لتحقيق مستقبل عادل، وهو إنهاء أدوات سيادة المستوطنين وامتيازاتهم، بما في ذلك إعادة صياغة تحليل الامتيازات اليهوديّة _ الإسرائيليّة، التي تنعكس في تنظيرات فلسطين والفلسطينيّين واحتجاجاتهم، وتفكيك إعادة الإنتاج المستمرّ للعنف الإبستمولوجيّ في إنتاج المعرفة. وفي حين أنّ التحوُّل إلى البَرَدايْم الكولونياليّ الاستيطانيّ الذي أتتبّعه ليس هو الخطوة الوحيدة المطلوبة، على الرغم من أهمّيّتها، من أجل تفكيك البنْية التحتيّة للكولونياليّة الراهنة (التي صُمِّمت وأُعِدّت من أجل فرض الإقصاء والهيمنة)، إلّا أنّه يوفّر عدسة ترتكز على الماضي الراسخ وموجَّهة نحو المستقبل المحتمَل.

بَـرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة في السياق الإسرائيليّ _ الفلسطينيّ

لا يمثِّلُ بَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة نظريّةً منتظِمة ومتجانسة، بل ينطوي على إطارٍ تأويليّ وتحليليّ، مؤلَّفٍ من مقارَبات تاريخيّة تراكميّة، من شأنه معاينة سلسلة مجتمعات تشكّلت كمجتمعات استيطانيّة منذ بدايات العصر الحديث إلى يومنا هذا. وتضمُّ السلسلة -على سبيل المثال لا الحصر- الولايات المتّحدة وأستراليا وكندا ونيوزيلندا والجزائر. قد تتباين بعض الممارسات الاستعماريّة الاستيطانيّة من مجتمع إلى آخَر، ومن حقبة تاريخيّة إلى أخرى، إلّا أنّ مقارنة مآلات التجارب الكولونياليّة الاستيطانيّة تبقى ممكنةً بسبب العوامل المشتركة بينها، ولا سيّما أنّ الغاية المركزيّة التي تُشكّل لبّ هذه التجربة هي الاستيلاء على الأرض.

لا أُحيل "عودة ظهور" بَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة إلى مجرّد العودة إلى الاستعمال الأصليّ للبَرَدايْم؛ إذ إنّ للأطر التي تناقش الاستعمار والتنويعات المرتبطة بدراسات الاستعمار تاريخًا طويلًا، لكن الإطار العينيّ الذي نعني عودته إلى الحقل النظريّ هو دراسات الكولونياليّة الاستيطانيّة. وقد صُمِّمَ هذا الإطار للبحث في المنطق الداخليّ الموجِّه لنماذج مختلفة من الكولونياليّة الاستيطانيّة (نحو: نيوزيلندا؛ الولايات المتّحدة؛ كندا؛ أستراليا). ولذا، عودة ظهور الكولونياليّة الاستيطانيّة في سياق القضيّة الفلسطينيّة لا تَشِي بتطابق بين هذا البَرَدايْم وتجلّياته السابقة. ولكن أيًّا كانت الاختلافات بين التحليلات السابقة والراهنة، التي تعتمد على الكولونياليّة الاستيطانيّة إطارًا نظريًّا، يمكننا الادّعاء، بقدرٍ عالٍ من الثقة، أنّ القاسم المشترك بين الاستخدامات السابقة والراهنة لبَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة يكمن في سعيها إلى التعويض -لا الاستعاضة- عن الاستخدام الفضفاض لمصطلح "الكولونياليّة" ككتلة متجانسة، مع كلّ ما يحمله من دلالات مرتبطة بالاقتصادات القائمة على الاستغلال

كنظام عمالة السخرة في المزارع الاستعماريّة. تؤكّد محاولات التعويض هذه على المميّزات المتفرّدة لمسارات الاستعمار المختلفة، وعدم اقتصار اعتمادها على علاقات السيطرة التي يمارسها المستعمِرون، بل تجاوز ذلك إلى اقتلاع الشعوب الأصليّة واستبدالها بمجتمعات مستعمِرة.[9] تتميّز صيرورات الاستعمار الاستيطانيّ باستيلاء المستعمِرين، المدعومين، بطبيعة الحال، من الدولة الأمّ، على حيّزٍ يقطنه السكّان الأصليّون، وبقلب كفّ الميزان الديمجرافيّ تدريجيًّا لصالح المستعمِرين على حساب السكّان الأصليّين من خلال وسائل شتّى، كالتهجير أو الطرد أو الإبادة. وبينما ينصبّ تركيز الدراسات الاستعماريّة، بغايتها ومنتهاها، على علاقة مركز الحاضرة بهامش المستعمَرة، يمعن پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة النظر في عمليّات التحوُّل التي تشهدها المجتمعات الاستعماريّة الاستيطانيّة، وفي ديناميكيّات علاقات المستعمِرين بالسكّان المحلّيّين، وسيرورة نشوء الدول الكولونياليّة الاستيطانيّة، ومَأْسسة الامتيازات التي يحظى بها المستعمِرون على حساب سكّان المستعمَرة "الأصليّين". يركّز هذا الپَرَدايْم، إذًا، على الميزات التي كثيرًا ما أغفل التأريخ الإمبرياليّ والتأريخ القوميّ -على حدّ سواء- الإشارةَ إليها وتحليلها (Veracini, 2010).

على النقيض من الاستعمار الإداريّ (Administrative colonialism)، واستعمار الوكالة (Franchise colonialism)،[10] اللذَيْن يستلزمان إخضاع الشعوب الأصليّة سياسيًّا واقتصاديًّا، يرتكز النظام الكولونياليّ الاستيطانيّ على استيلاء المجموعة الاستيطانيّة الدائم على الأراضي والموارد الحيويّة الأخرى (Lloyd, 2012). ويَعتبر وولف "منطق الإقصاء"، الساعي إلى استبدال السكّان الأصليّين والاستيلاء على أرضهم، حجرًا أساسيًّا في نظام الكولونياليّة الاستيطانيّة، فالهدف الرئيسيّ الذي تضعه مشاريع الكولونياليّة الاستيطانيّة نُصْب أعينها هو الاستيطان الدائم، لا استغلال العمالة، على الرغم من أنّ هذا الأخير قد يرافق الهدف المذكور. المستعمِرون الكولونياليّون، كما قالها وولف (Wolfe, 1999, p. 2)، يأتون ليَبقَوْا، والاحتلال هو بنْية وليس حدثًا.[11]

9. يدّعي البعض أنّ الكولونياليّة الاستيطانيّة قد ظهرت للمرّة الأولى خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر. في هذا الصدد، انظروا: (Piterberg, 2013). في المقابل، يجد آخرون أمثلة لكولونياليّة استيطانيّة في مجتمعات ما قبل التاريخ. في هذا، انظروا: (إلچازي، 2017).

10. وهو ذاك النوع من الاستعمار الذي يفرض فيه المستعمِر سيطرته من خلال شبكة واسعة من الأدوات القمعيّة المادّيّة والثقافيّة للسلطة الاستعماريّة، دون أن ينتقل المستعمِرون إلى الدولة المستعمَرة، ويبقَوْن في الدولة الأمّ (Metropolitan state).

11. سابقًا، استُخدِمَت تصنيفات تحليليّة مختلفة لتصوير ممارَسات التدمير أو الإبادة التي اتّبعتها الحركة الصهيونيّة مع المجتمع والحيّز والنظام الفلسطينيّ. على سبيل المثال: الإبادة الاجتماعيّة (Abed al-Jawad, Unpublished manuscript)؛ الإبادة المكانيّة، انظروا: (Hanafi, 2009)؛ الإبادة السياسيّة، انظروا: (Kimmerling, 2003)؛ الإبادة الثقافيّة. في حين يمكن لكلّ واحدة من هذه الفئات التحليليّة شَرْحُ جانب معيَّن من القضاء على الشعب الأصليّ، فإنّ آليّة المحو، كبنْية أو كسيرورة (كما سوف أدّعي لاحقًا) في پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة، تجمع كلّ هذه الفئات لوصف التحوُّل الذي تمرّ به المجتمعات الأصليّة في مجْمَلها.

ينطبق هذا الوصف تمامًا على المشروع الصهيونيّ إنْ أردنا اختبار مدى قابليّة تطبيق الكولونياليّة الاستيطانيّة من منظور مؤسِّسي الحركة الصهيونيّة، حيث تبنّت الصهيونيّة منذ بدايتها المصطلحات الكولونياليّة، وقد كان الاستيطان الدائم هدفًا مركزيًّا للمشروع الصهيونيّ. ولعلّ أحد أوضح الأمثلة على ذلك ما ورد في كتابات ثيودور هرتسل، الأب المؤسِّس للصهيونيّة السياسيّة، والنداء الذي وجّهه، في العام 1902، إلى مؤسِّس الإمبراطوريّة البريطانيّة في جنوب أفريقيا سيسيل رودس حين طالبه بدعم الاستيطان اليهوديّ في فلسطين:

> أنت مدعوّ للمساعدة في صناعة التاريخ، ولا ينبغي لهذا الأمر أن يخيفك أو يضحكك. صحيحٌ أنّه لا يندرج تحت مسارك المعتاد، ولا يشمل أفريقيا بل قطعةً من آسيا الصغرى، ولا يخصّ الإنكليز بل اليهود، ولكنّك لو لمحت هذا الهدف في طريقك لكنت اعتمدته بالتأكيد. إذًا، لِمَ أتوجّه إليك على الرغم من أنّ هذا الموضوع ليس في صُلب اهتماماتك؟ حقًّا، لماذا؟ حسنًا، لأنّ هذا شأن استعماريّ (Halbrook, 1972, p. 86).

يمكننا كذلك استنباط المكوّن الاستعماريّ من الأسماء التي أطلقتها الحركة الصهيونيّة على مؤسّساتها، إذ حمل أوّل مصرف أنشأته اسم الشركة الاستعماريّة، وحملت دائرة الاستيطان فيها اسم دائرة الاستعمار (Allen, 2019). يدّعي صايغ،[12] وهو السبّاق في استخدام مفهوم الكولونياليّة الاستيطانيّة في العام 1965 (Kauanui, 2016)، وفي تأطير الصراع في فلسطين ضمن هذا المفهوم، أنّ الحركة الصهيونيّة توجّهت نحو استخدام مصطلحات التحرُّر القوميّ في السبعينيّات (Allen, 2019)،[13] على أنّ تغيير المصطلحات واستخدام المصطلحات القوميّة لا ينفيان مركّبَ الصهيونيّةِ الاستعماريّ. فالاستعمار، كما يضيف صايغ، وُظِّفَ أداةً لبناء الأمّة، ولم يكن مجرّد تحصيل حاصل في مشروع قوميّ مكتمل الملامح (Sayegh, 1965, p. 2).

مع مرور الزمن، بلْوَر الفكر الصهيونيّ -بشقَّيْه الأكاديميّ والشعبيّ- اعتراضَيْن مركزيَّيْن على تأطير الصهيونيّة ضمن مفهوم الكولونياليّة الاستيطانيّة، حيث استند الاعتراض الأوّل إلى الادّعاء أنّ الحركة الصهيونيّة لم تَنشُد استغلال العمالة المحلّيّة، وبالتالي لا يمكن تصنيفها كحركة استعماريّة. أمّا الاعتراض الثاني، فقد اتّكأ على الادّعاء أنّ الصهيونيّة افتقرت إلى مركز

12. حتّى قبل ذلك، ضُمّت إسرائيل سابقًا أيضًا ضمن تحليلات أَجْرتها عالمة الاجتماع الكنديّة دايفا ستاسيوليس، والمختصّة في علم الاجتماع النقديّ نيرا يوفال-ديفيز، المولودة في إسرائيل. انظروا: (Stasiulis & Yuval-Davis, 1995).

13. ومن الجدير بالذكر أنّ استخدام الإطار الكولونياليّ الاستيطانيّ في الحالة الإسرائيليّة _ الفلسطينيّة حدث في أبكر ممّا كان عليه في بعض الحالات الأخرى. على الرغم من صحّة الادّعاء بشأن استخدام البَرَدايْم الكولونياليّ الاستيطانيّ لتحليل أجزاء من الأمريكيّتين وأوقيانوسيا وأفريقيا في الحاضر قد أثّر بصورة جِدّيّة على كيفيّة تناول الباحثين لقضيّة فلسطين، يمكن الادّعاء أنّ حالة فلسطين كانت من أوائل الأمثلة على استخدام البَرَدايْم في صيغته السابقة، وإنْ لم يحظَ باهتمام كبير في ذاك الوقت.

حضريّ أو مدينة كبرى لدى تأسيسها (Penslar, 2007). هنا، ينبغي التذكير بأنّ العلامات الفارقة التي تميّز المجتمعات الكولونياليّة الاستيطانيّة، سواء امتلكت مركزًا حضريًّا أم لم تمتلك، تتجلّى في الاستيلاء على الموارد، وتهجير السكّان الأصليّين، لا في استغلالهم. اقترح الباحثون، الذين أطّروا الحالة الصهيونيّة ضمن مفهوم الكولونياليّة الاستيطانيّة، بديلَيْن وظيفيَّيْن ردًّا على الادّعاء أنّ افتقار الحركة الصهيونيّة إلى مركز متروبوليتانيّ ينفي طابعها الاستعماريّ، وهذان البديلان هما الحركةُ الصهيونيّة التي خارج إسرائيل، بما فيها من مؤسّسات اقتصاديّة تابعة وممولين فرديّين، والإمبراطوريّاتُ المعاصرة، البريطانيّة والفرنسيّة والأمريكيّة، التي منحت المشروع الصهيونيّ رعايتها السياسيّة (المسيري، 1992؛ Jabbour, 1970).[14]

يثري استخدام پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة وأدواته التحليليّة فهمنا في دراسة الحالة الفلسطينيّة _ الإسرائيليّة. فقد قام المشروع الصهيونيّ على انتقال مجموعة من المستعمِرين من أوروبا إلى حيّزٍ مأهولٍ بسكّانه المحلّيّين، ومن ثَمّ الاستيلاء على أراضي السكّان الأصليّين وتهميشهم، واعتمد في بداياته على الاستحواذ على الأرض. تصاعدت هذه العمليّة العنيفة مع الاستعمار البريطانيّ لفلسطين في العام 1917، وفرْض إجراءات قانونيّة جديدة، غير أنّها قوبلت بمقاومة فلسطينيّة، ممّا حَدَا بالمستعمِرين، مرارًا وتكرارًا، إلى استخدام القوّة لطرد الفلسطينيّين من أراضيهم، إمّا بالاستعانة بالسلطات البريطانيّة، أو بأنفسهم (Sabbagh-Khoury, In press). لذا، يمكننا القول إنّ طبيعة المقاومة الفلسطينيّة أسهمت في رسم معالم المشروع الصهيونيّ، إذ برزت علاقة جدليّة بين الضراوة التي تطوّر فيها كلّ من المشروع الصهيونيّ والمقاومة الفلسطينيّة ضدّه.[15] بقي استحواذ المستعمِرين على الأراضي تدريجيًّا، لأنّ الشروط التي وضعها الانتداب البريطانيّ تطلّبت منْحَ الفلسطينيّين تعويضاتٍ لقاء الأرض التي يسكنها المستعمِرون، والحصولَ على موافقتهم لإخلائها منهم، أي اقتناء الأرض منهم. بَيْدَ أنّ ذلك لم يَحُلْ دون اختفاء سبعين قرية فلسطينيّة من الخارطة قبل العام 1948 نتيجة عمليّة الاستعمار الصهيونيّ (المصدر السابق). ومع ذلك، لم تتعدَّ الأراضي، التي استحوذت عليها الحركة الصهيونيّة حتّى العام 1948، ما نسبته 7% من إجماليّ مساحة فلسطين الانتدابيّة،[16] لتوفِّرَ حربُ العام 1948 فرصة فرْض السيادة اليهوديّة على مساحاتٍ شاسعة من الأراضي، وطرْد الشعب

14. خلافًا لمراكز متروبوليتانيّة أخرى، لم تسعَ الجهات المانحة والداعمة للحركة الصهيونيّة خارج إسرائيل إلى الربح المادّيّ من وراء استثماراتها، وإنّما تحرّكت بفعل التعاطف السياسيّ والثقافيّ. لكن بينما تختلف عن وجهات الرعاية الدوليّة المتروبوليتانيّة الكولونياليّة الاستيطانيّة الأخرى، فالأمر الأساسيّ هنا هو الدعم، الذي لولاه لكان من الصعب تصوُّر نجاح الحركة في مساعيها.

15. كانت العسكرة، ولجوء الصهيونيّة إلى القوّة، وتطوير التفكير نحو التهجير القسريّ في الثلاثينيّات، بمثابة انعكاس للمقاومة الفلسطينيّة. انظروا: (Shapira, 1999).

16. 20% من الأرض الصالحة للزراعة (أي لا يشمل النقب).

الفلسطينيّ منها. وهكذا، استطاعت الحركة الصهيونيّة، بواسطة الحرب، وعمليّات التهجير، والاستفادة من تحكُّم الدولة في تغيير النظام القانونيّ، استكمالَ مشروع الاستيلاء على الأراضي ومصادرتها، الذي كانت قد بدأت به استعمارها لفلسطين في الفترة التي سبقت نكبة عام 1948.

فرضت دولة إسرائيل الحكم العسكريّ على الفلسطينيّين منذ قيامها في العام 1948 حتّى العام 1966، وسخّرته لخدمة مشروعها الاستعماريّ من خلال إحكام السيطرة على معظم الأراضي، ومنْع المهجَّرين من العودة إلى قراهم ومدنهم، والحُؤول دون عودة اللاجئين إلى ديارهم. مُنِح الفلسطينيّون المتبقّون ضمن حدود إسرائيل مواطَنةً وحقوقًا سياسيّةً محدودة لينشأ نمطٌ يمكن وصفه بالمواطَنة الكولونياليّة الاستيطانيّة، والتي تشكّلت أبرز ملامحها إبّان فترة الحكم العسكريّ (Rouhana & Sabbagh-Khoury, 2014). وعلى الرغم من منح السكّان الفلسطينيّين الأصليّين الجنسيّة الإسرائيليّة، لم تعترف إسرائيل بهم مجموعةً وطنيّة أصلانيّة، بل اعتبرت وجودهم على أرضهم وفي وطنهم عائقًا أمام تحقيق أهداف المشروع الصهيونيّ (المصدر السابق). بقيت ضمن "حدود" الدولة مناطقُ لم تكتمل فيها عمليّة الاستيطان الصهيونيّ وتهجير الفلسطينيّين، ولكن ذاك لم يُفقد المشروع الصهيونيّ استقراره النسبيّ في سنوات الستّين، ولا سيّما بالمقارنة بالفترة التي سبقت قيام الدولة.

جاء احتلال الضفّة الغربيّة والقدس وقِطاع غزّة في العام 1967 ليسرِّعَ -بل ليغيِّرَ كذلك- سيرورة الاستعمار الاستيطانيّ، وذلك من خلال احتلال أراضٍ إضافيّة، وإطلاق جولة جديدة من تهجير أبناء الشعب الأصليّ، ومنْع عودتهم، ونقْل إسرائيليّين (عُرِفوا منذئذٍ بالْ "مِتْنَحْليم" -أي المستوطنين الاستعماريّين) إلى الأراضي المحتلّة. نُفِّذت هذه العمليّة برعاية دولة إسرائيل التي قامت بما يشبه دَوْر "الدولة الأمّ" عبْرَ ترويجها للاستيطان الاستعماريّ في الأراضي المستولى عليها حديثًا.[17] بينما تمتّعت الأراضي المحتلّة في العام 1948 باعتراف دوليّ بموجب قرار التقسيم الصادر في العام 1947 (على الرغم من سيطرة إسرائيل خلال حرب 1948 على أراضٍ لم تُخصَّص لها بحسب خطّة التقسيم، بما فيها مناطق واسعة من الجليل)، صُنِّفت جميع الأراضي التي استولت عليها إسرائيل في العام 1967 أراضيَ محتلّةً وَفقًا للقانون الدوليّ.[18]

17. أحد التحوُّلات التي مرّ بها المشروع الصهيونيّ هو تحويل دولة إسرائيل إلى دولة أُمّ. لكن هذا لا يعني توقُّف دول أُمّ أخرى -كالولايات المتّحدة على سبيل المثال- عن دعمها لإسرائيل وللمشروع الصهيونيّ. سوف أشير إلى مَناحٍ أخرى لهذا التحوُّل في المقالة لاحقًا.

18. العواقب القانونيّة لبناء جدار الفصل في الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة (لاهاي: تقارير محكمة العدل الدوليّة، 2004). مستقاة بتاريخ (2021/7/17)، من:
https://www.icj-cij.org/files/case-related/131/131-20040709-ADV-01-00-EN.pdf.

توضِّحُ اللمحة المعروضة أعلاه، جليًّا، ما أودّ ادّعاءه من أنّ پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة يتحدّى التصوُّرَ التقليديّ للعلاقات بين الإسرائيليّين والفلسطينيّين على أنّها محض صراعٍ بين حركتَيْن وطنيّتَيْن متناحرتَيْن، ويقدّمُ، في المقابل، رؤيةً مقارِنة وطويلة الأمد تتجاوز التركيز على الأحداث المؤسِّسة التي شهدها عام 1948 وعام 1967. يرى پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة أنّ "اليشوف" (مصطلح بالعبريّة يُستخدَم كذلك في اللغة العربيّة وفي الإنچليزيّة Yishuv-) يعني "المستعمَرة" (والمقصود بـ "اليشوف" هو الاستيطان اليهوديّ الحديث الذي تعود بداياته إلى نهايات القرن التاسع عشر). ولذا، فهو (أي الپَرَدايْم) لا ينفي مركّب الصراع القوميّ، لكنّه يسعى إلى البحث في المناحي التي يتداخل فيها المكوّن القوميّ بسيرورة الكولونياليّة الاستيطانيّة. فبحسب هذا الپَرَدايْم، "المستعمَرة" هي "اليشوف" اليهوديّ الجديد الذي بدأ في نهاية القرن التاسع عشر.

تحفّز الحالة الإسرائيليّة على التفكير في العلاقات التبادليّة بين تصنيفات تحليليّة عديدة. لذا، فإنّ التحدّي الذي يواجه الباحثين المعنيّين باستخدام پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة في هذا السياق لا يقتصر على البحث في مختلف أشكال السيطرة التي يمارسها المشروع الصهيونيّ على المجموعات الفلسطينيّة المختلفة، بل يشمل كذلك تشريحَ مكوِّن المجتمع الاستعماريّ الاستيطانيّ وتصدُّعاته الداخليّة. تتّضح هنا أهمّيّة ثيمة "الاستعمار الداخليّ" المدرِك أنّ أشكال السيطرة الكولونياليّة لم تَطُل الخارج فقط، بل استهدفت جهاز الدولة المعَرْقَن ومجموعاتٍ قوميّة من داخل المجتمع الاستعماريّ، والمجموعة الأبرز في الحالة الإسرائيليّة تضمّ اليهود الـ "مزراحيم" (أي المستعمِرين اليهود المهاجرين من دول عربيّة أو مسلمة) الذين تعرّضوا إلى تمييزٍ ممنهَج.[19] لذا، يغدو الحديث عن التمييز الممارَس على أساس الطبقة /العِرْق /القوميّة، السائد في المجتمعات غير الاستعماريّة، أكثر تعقيدًا في هذه الحال. في المقابل، مثل الإشكناز، لا يعتبر "المزراحيم" أنفسهم جزءًا من مشروع كولونياليّ استيطانيّ، بل يعتبرون أنفسهم مواطنين من درجة ثانية، وضحايا دولتهم اليهوديّة.

في العام 1979، قدّم إيليّا زريق عمله الرائد حول پَرَدايْم الكولونياليّة الداخليّة في كتابه الذي حلّل فيه السياسات الإسرائيليّة تجاه الفلسطينيّين في إسرائيل (Zureik, 1979). وعرض زريق "الكولونياليّة الداخليّة" كتوجُّه جديد لتفسير العلاقة بين الدولة الكولونياليّة والأقلّيّة الفلسطينيّة داخلها، مع دراسة نقديّة لبديهيّات ممارسات الدولة ضدّ مواطنيها. وعلى الرغم من أنّ عمل زريق لقي قبولًا واسعًا في أوساط علم الاجتماع في إسرائيل، وكثيرًا ما جرى استخدامه وتدريسه، بدا هذا العمل المبكّر وكأنّه ينظر إلى الكولونياليّة الداخليّة على أنّها

19. لا ترغب الأغلبيّة الساحقة في الارتباط بالعرب أو بهُوِيّتها العربيّة، حيث تنظر إلى هذا الارتباط كإذلال إضافيّ، باستثناء نُخَب مهمَّشة نسبيًّا.

مختلفة عن الكولونياليّة الاستيطانيّة. استخدم زريق ثنائيّ السكّان الأصليّين والمستعمِرين، إلّا أنّ تحليله تتبّع، عن كثب، النقد الطبقيّ الماركسيّ لانعدام المساواة، دون الخوض في الآليّات المنهجيّة لاستبدال السكّان الأصليّين، والتي تشكّل لُبّ المشروع الكولونياليّ الاستيطانيّ. كذلك ركّز على الحدود الداخليّة الحديثة النشأة في تشكيلها كمجموعة قوميّة من السكّان الأصليّين، وتهميش الترابط بين الفلسطينيّين في إسرائيل مع الفلسطينيّين الآخرين، سواء في هذا أولئك الذين يعيشون تحت احتلال العام 1967 واللاجئون. ويبدو أنّ عمله لم يزعزع المفاهيم الرسميّة لسيادة الدولة الإسرائيليّة، إلّا أنّه، على الرغم من ذلك، كان بحثه حاسمًا في تهيئة المشهد أمام الباحثين في إسرائيل لإنتاج دراسات نقديّة بشأن تبعيّة الفلسطينيّين. ومن الجدير بالذكر أنّ إيليا زريق قد صاغ في كتابه الأخير البَرَدايْم الكولونياليّ الاستيطانيّ وتناوله بصورة أكثر وضوحًا (Zureik, 2015).

بينما تعاملت الأكاديميا الإسرائيليّة مع طرح زريق النظريّ في ما يتعلّق بِـ "الكولونياليّة الداخليّة"، تجاهلت الأكاديميا نفسها طروحًا نظريّة وفكريّة حول الكولونياليّة الاستيطانيّة كانت قد طُرِحت في تلك الفترة. فبدءًا بسنوات الستّينيّات والسبعينيّات من القرن الماضي، استخدم أكاديميّون فلسطينيّون الإطار الكولونياليّ الاستيطانيّ لتحليل الصراع (Abu-Lughod & Abu-Laban, 1974; Hilal, 1976; Sayegh, 1965). وفي سنوات الستّين، برز هذا البَرَدايْم أيضًا ضمن توجُّهات مختلفة، من ضمنها دراسات لباحثين نقديّين بارزين في دراسات الشرق الأوسط كمكسيم رودِنْسون (1973)، وفي أوساط جهات يساريّة غير صهيونيّة في إسرائيل. على الرغم من أنّ هذه النقاشات غابت عن إطار الخطاب الأكاديميّ الإسرائيليّ لسنوات طويلة، منذ بداية الألفيّة الثالثة حاول عدد من الباحثين في الغرب مقارنة الاستعمار الاستيطانيّ الذي تبلور في مجتمعات الاستعمار الاستيطانيّ في شمال أمريكا (الولايات المتّحدة وكندا)، وأستراليا، وروديسيا،[20] بالحالة الإسرائيليّة /الفلسطينيّة (Elkins & Pederson, 2005; Veracini, 2010)، سوف أناقش، في ما يلي، دراسة أعمال أكاديميّين إسرائيليّين وفلسطينيّين، إلى جانب الدروس المستفادة من هذه الأبحاث في مجال علم اجتماع إنتاج المعرفة في إسرائيل والتوجُّهات الجديدة في إطار بَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة.

20. هذه ليست قائمة شاملة لحالات الكولونياليّة الاستيطانيّة كافّة. ركّزتُ هنا على الحالات التي ترتبطُ بإسرائيل _ فلسطين. وسوف أتطرّق لاحقًا إلى الجزائر وجنوب أفريقيا، لكن ثمّة نقاش حول هاتَيْن الحالتَيْن من حيث تعريف الكولونياليّة الاستيطانيّة كمشروع يتمحور في الأرض.

الصهيونيّة والاستعمار والكولونياليّة الاستيطانيّة في أبحاث اليهود الإسرائيليّين

جُنِّدت العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، منذ ما قبل قيام دولة إسرائيل حتّى العقد الرابع لقيامها، في سبيل تعزيز المشروع الصهيونيّ؛ فلا عجب إذًا من أنّ نقاشَ طابع الصهيونيّة الاستعماريّ، الذي دار في حلقات يساريّة غير صهيونيّة، ظلّ مغيَّبًا عن الأكاديميا الإسرائيليّة. رأى علم الاجتماع نفسه جزءًا لا يتجزّأ من المؤسّسة الإسرائيليّة، وقام بدَوْر في سيرورة بناء الدولة وتشكيل الأمّة (Ram, 1993)، وقد ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالمشروع الاستعماريّ، وفرْض السيطرة على الشعوب الأصليّة وعلى مواردها.[21] ظهرت إسرائيل من منظور صهيونيّ كمشروع انعتاق جاء ليخلِّص اليهود الناجين من أهوال المحرقة ومعاداة الساميّة التي عصفت ببلدانهم السابقة. أمّا نكبة عام 1948، فقد صُوِّرَت على أنّها "حرب استقلال" من الانتداب البريطانيّ من جهة، وحرب دفاعيّة خاضها "اليشوف" في فلسطين ضدّ العدوان الذي شنّته الدول العربيّة المجاورة من جهة أخرى. عُرِضَت ممارسات الكولونياليّة الاستيطانيّة المؤسَّسة قبل العام 1948، وما رافقها من عنف مارسه المشروع الصهيونيّ، إمّا كاستيطان سِلميّ تحقّق من خلال صفقات شراء الأراضي، أو كمحاولات للتعايش السلميّ مع السكّان المحلّيّين العرب في أرض اليهود الموعودة (Sabbagh-Khoury, In press). أمّا الفلسطينيّون الباقون في أرضهم بعد العام 1948، وبعد تهجير معظم أبناء الشعب الأصلانيّ، فقد أصبحوا "عرب إسرائيل"، أو "الأقلّيّة العربيّة في إسرائيل". انسجم التصنيف الأوّل مع محاولات إسرائيل محو اسم فلسطين من الخارطة، وأُريدَ منه فصْل الفلسطينيّين الذي بَقُوا في ما أصبح يُعْرَف بإسرائيل عن السكّان الفلسطينيّين خارجها.

ولم يسائِل الأكاديميّون الإسرائيليّون هذه الأساطير السياسيّة الإسرائيليّة المهيمنة إلّا مع نهاية الثمانينيّات وبداية التسعينيّات، وذلك من خلال أعمال باحثين لم يشاركوا في الغالب شخصيًّا في أحداث العام 1948.[22] كان للعمل الهامّ لهؤلاء الباحثين، الذين عُرِفوا بباحثي "ما بعد الصهيونيّة" أو "المؤرّخين الجُدُد"، دَوْرٌ مؤثّرٌ في دحض بعض الأساطير التأسيسيّة لدولة إسرائيل، والمنتشرة في أوساط الإسرائيليّين، وحتّى الباحثين في الغرب. بقيت معظم هذه الدراسات والنقاشات التي أثارتها هذه المدرسة رهينة الهيمنة الصهيونيّة (مع استثناء

21. كان تحالف علم الاجتماع مع الدولة، لا مع جميع المستوطنين الكولونياليّين. وصُوِّر بعضهم (في حالة الشرقيّين -على سبيل المثال) كموادّ بشريّة تغذّي المشروع الصهيونيّ. لم يصغِ علم الاجتماع لهم، ولم يُراعِ مآزقهم.

22. انظروا -على سبيل المثال-: (Flapan, 1987; Morris, 1988; Pappé, 1992; Shlaim, 1992).

محتمل لدراسات إيلان پاپيه لاحقًا).[23] ومع أنّ أحداث العام 1948، والسرديّات الصهيونيّة التي أنتجتها، قد أُخضِعت للدراسة من قِبل المؤرّخين في المدارس المهيمنة، فقد برزت نزعة إلى "تجميد" نكبة العام 1948 كحالة استثنائيّة. انطلق المؤرّخون الجُدُد وباحثو ما بعد الصهيونيّة في مساعيهم نحو المراجعة الذاتيّة كي يدرسوا تاريخهم هم. صحيحٌ أنّهم رفضوا الأساطير التأسيسيّة، ولكنّهم لم يَحيدوا قيد أنملة عن مسار الدولة اليهوديّة الإقصائيّة. علاوة على ذلك، لم يطرح هؤلاء المؤرّخون تساؤلات بشأن الجذور الاستعماريّة الاستيطانيّة لدولة إسرائيل وللمجتمع الإسرائيليّ، فكرّسوا استخدام الإطار التحليليّ المعتمَد بكثرة الذي يدّعي أنّ دولة إسرائيل هي سليلة صراع بين حركتَيْن قوميّتَيْن تصارعتا على الأرض ذاتها.

افترض هذا التوجُّه التكافؤ بين "طرفَيِ النزاع"، وفصَل مناقشة أحداث العام 1948 عن أحداث العام 1967، مكرّسًا شرخًا معرفيًّا بين حرب العام 1948 واحتلال العام 1967، على الرغم من أنّ بنْية الغزو أو الاقتحام راسخة في صُلب كلا الحدثَيْن. أسهَمَ سلوك الفصل المعرفيّ هذا في تمييع طابع دولة إسرائيل الاستعماريّ الاستيطانيّ، وفي إغفاله أو وضعه طيّ النسيان، وطَبّعَ هذا السلوك السيرورةَ التي استُبدِل خلالها الشعب الأصليّ بمجتمع استعمار استيطانيّ، وأُخضِع مَن تبقّى منه ضمن حدود دولة إسرائيل إلى السيطرة الإسرائيليّة. عَزَا يهودا شِنهاڤ (2011)، في "بعيدًا عن حلّ الدولتَيْن: نصّ يهوديّ سياسيّ"، إنتاجَ هذا الفصل إلى اليسار الإسرائيليّ الذي أسهَمَ -من خلال توظيفه لپَرَدايْم العام 1967 وحلّ الدولتين- في إغفال قضيّةِ العام 1948، والتطهيرِ العرقيّ الذي ارتكبته القوّات العسكريّة الإسرائيليّة آنذاك. في رفض هذا التصوُّر، ربط إيلان پاپِه (2013) وچادي إلچازي (2018) بين احتلال العام 1948 واحتلال العام 1967، وعارضا الفسخ الذي يبدو أنّ اليسار الصهيونيّ النقديّ قد أحدثَهُ. أظهر إيلان پاپِه أنّ أناطوميا السيطرة -أي الحكم العسكريّ- انتقلت من المناطق التي احتُلّت سنة 1948 إلى المناطق التي فُرِضت السيطرة عليها سنة 1967 من أجل استكمال المشروع الصهيونيّ بمركّبَيْه الأساسيَّيْن: السيطرة على مساحات أوسع من الأرض، وتقليص أعداد الفلسطينيّين الذين يسكنونها. ناقش إلچازي قضيّة اللاجئين في العامين 1948 وَ 1967 ككتلة واحدة، وادّعى أنّ عمليّات التهجير سنة 1967

23. أثّرت هُويّة هؤلاء الباحثين الإسرائيليّة على تقبُّل ادّعاءاتهم في الغرب. قد يدّعي بعضهم، وبحقّ أحيانًا، أنّ منهجيّات البحث التي اتّبعوها، واعتمادهم الحصريّ تقريبًا على الأرشيف الإسرائيليّ والبريطانيّ وعلى السجلّات الوطنيّة، عزّزت مصداقيّتهم. بَيْدَ أنّ دراسات بعض المؤرّخين وعلماء الاجتماع الفلسطينيّين، الذين استندوا غالبًا إلى الأرشيفات نفسها، وكتبوا حول مواضيع متّصلة، وتوصّلوا إلى النتائج نفسها، لم تَلقَ الترحيب نفسه. انظروا، على سبيل المثال، في دراسات: (مصالحة، 1992، 1997). يتجاهل هذا التفاوت حقيقة أنّ العديد من الباحثين الفلسطينيّين (بمن فيهم أبناء الجيل الأوّل بعد النكبة) يَعْرِفون الماضي إمّا من خلال تجاربهم المباشرة، وإمّا من خلال عائلاتهم. فإضافةً إلى تنقيبهم في الأرشيفات البريطانيّة والعربيّة، استخدم هؤلاء منهجيّة التاريخ الشفويّ لتعميق معارفهم. في هذا الشأن، انظروا: (Nazzal, 1978; Sayigh, 1979). إلى ذلك، أغفل أكاديميّون في الغرب، في هذه الفترة، الطابع الكولونياليّ الاستيطانيّ لإسرائيل، على الرغم من الجهود التي بذلها أكاديميّون أصلانيّون، ومن ضمنهم أولئك الذين نشروا أبحاثهم باللغة الإنچليزيّة.

مثّلت، إلى حدٍّ بعيد، تتمّةً لعمليّات التهجير التي شهدها العام 1948، والتي لم تكتمل آنذاك من منظور القادة الصهيونيّين. رأى كلا الباحثَيْن، إذًا، أنّ هذَيْن المنعطفَيْن الحاسمَيْن متداخلان في سيرورة واحدة.

تطوَّرَ عمل عدد من الباحثين الإسرائيليّين ممّن استخدموا پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة في الأعوام الأخيرة في خضمّ اضمحلال اليسار الصهيونيّ وتوسُّع المشروع الاستعماريّ.[24] تمثَّلَ هذا التوسُّع المستمرّ، داخلَ الخطّ الأخضر، في سَنِّ قوانين جديدة ذات صبغة استعماريّة والإمعانِ في حرمان المواطنين الفلسطينيّين في إسرائيل من حقوقهم السياسيّة التي لم تكن أصلًا كاملة، وإنشاءِ مستعمَرات جديدة للإسرائيليّين اليهود داخل الخطّ الأخضر من خلال تهجير البدو الفلسطينيّين في النقب قسرًا. أمّا خارج الخطّ الأخضر، فنلاحظ اتّساعًا مستفحلًا في رُقعة الاستيطان اليهوديّ بموازاة استمرار السياسات النيو_كولونياليّة والنيو_ليبراليّة التي تنتهجها دولة إسرائيل ونُخَبها السياسيّة، ممّا أسفر عن إحكام السيطرة على 80% من مساحة فلسطين التاريخيّة.[25]

مع ذلك، بقي هذا الصنف من الدراسات النقديّة استثناءً، وكي نفهم الأسباب والطرق التي أدّت إلى غياب الأدبيّات النقديّة، يتحتّم علينا أن نعود لنعاين، باقتضاب، التحوّلاتِ الحاصلةَ في الأكاديميّة الإسرائيليّة، تلك الحاصلة في العلوم الاجتماعيّة على وجه الخصوص، وفي النظريّة النقديّة (ونظريّة "ما بعد الاستعمار") على وجه العموم. أخفقت هذه التوجُّهات التي تبدو للعِيان نقديّةً، كما سنرى من خلال هذه المراجعة، في التعامل مع ماهيّة المشروع الصهيونيّ على أنّه مشروع كولونياليّ استيطانيّ.

1. علم الاجتماع النقديّ

طوّر علمُ الاجتماع النقديّ[26] في إسرائيل نقدَيْن مركزيَّيْن لعلم الاجتماع المؤسّسيّ (Ram, 1995)، يرتبطُ أحدهما بالتباينات الطبقيّة والإثنيّة في المجتمع اليهوديّ في إسرائيل، فيما يرتبط الآخر بالعلاقة مع الفلسطينيّين، أو -بلغة أدقّ- بإقصاء الفلسطينيّين من تحليل المجتمع في إسرائيل، الأمر الذي أفضى إلى تهميش مسألة السِّمات الاستعماريّة للمشروع الصهيونيّ. على الرغم من هذا التهميش، بوسعنا الإشارة بالبنان إلى مجموعة محدودة من

24. انظروا -على سبيل المثال-: (Gordon & Ram, 2016; Ram, 1993).

25. انظروا -على سبيل المثال-: (إلچازي، 2018؛ يِفْتَحْئيل، 2021) و (Blatman-Thomas, 2017; Kedar et al., 2018; Lentin, 2018; Pappé, 2008; Piterberg, 2013; Robinson, 2013; Svirsky & Ben-Arie, 2017; Weizman & Sheikh, 2015).

26. أُصطُلِح على تسمية الاتّجاهات النقديّة في علم الاجتماع المؤسّسيّ في إسرائيل "علم الاجتماع النقديّ". أمّا المؤرّخون النقديّون، فأُطلِق عليهم "المؤرّخون الجدد"، أو "مؤرّخو ما بعد الصهيونيّة".

الباحثين الذين شكّلوا "الموجة الأولى" لتناول پَرَدايْم إطار الكولونياليّة الاستيطانيّة. تجدر الإشارة، مجدّدًا، إلى أنّ استخدام مصطلح "الموجة الأولى" لا يعني تطابقًا بين الأطر التي طوّرتها تلك الموجة والموجة الحاليّة.

إلى جانب أڤيشاي إيرلخ، الذي أنتج بحثًا رياديًّا يتناول الطابعَ الاستعماريّ للمشروع الصهيونيّ على ضوء العلاقات الاقتصاديّة التي تجمعه بالإمبراطوريات (Ehrlich, 1978)، يُعتبر باروخ كِمِرلينچ أبرز الباحثين الإسرائيليّين الذين قارنوا الحالة الإسرائيليّة بحالاتٍ كولونياليّة استيطانيّة أخرى، وطوّر تحليلًا يرى إسرائيل نموذجًا لمجتمع كولونياليّ استيطانيّ (Kimmerling, 1983). ينصبّ ثقل بحث كِمِرلينچ حول الصراع في مسألة الاستيطان، ولكنّه يتحاشى استخدام مصطلح "الاستعمار"، ويُجري حِوارًا مركَّبًا مع نظريّة التخوم (Frontier thesis) التي صاغها فردريك تيرنر في سياق الولايات المتّحدة. في تعامله مع مسألة التخوم بوصفها مقياسًا للمساحة "الفارغة" المتاحة للاستيطان من جهة، وعاملًا مركزيًّا في فهْم مجتمع مستعمِر مهاجر من جهة أخرى، ادّعى كِمِرلينچ أنّ الفرق بين المجتمع الأميركيّ الفردانيّ والمجتمع الإسرائيليّ التشاركيّ ينبع من طبيعة التخوم في البلدَيْن، فالأوّل يتّسم بمساحة كبيرة من التخوم، بنسبة عالية من "التخوميّة" (أي المساحات "الفارغة" المتاحة للاستيطان)، بينما الثاني يمتلك مستوًى منخفضًا منها. لعلّ التمييز الذي يقترحه كِمِرلينچ مفيد ومهمّ، غير أنّ نقاشه لمسألة التخوم يغفل عمليّاتِ التصفية التي تعرّضت لها الشعوب الأصلانيّة في كلتا الحالتَيْن، ويصوّر قضيّة المساحات الفارغة وكأنّها أمر مفروغ منه. هذه الأراضي لم تُمْسِ فارغةً إلّا بعد إبادة معظم أبناء الشعب الأصلانيّ، وتهجيرهم، ونقلهم قسرًا إلى أماكن أخرى في أميركا الشماليّة، أو بعد تهجير الفلّاحين والاستحواذ على أراضيهم عنوةً، وطرْد معظم أبناء الشعب الفلسطينيّ خلال النكبة في الحالة الفلسطينيّة. على الرغم من أهمّيّة البحث الإمپيريّ الذي أجراه كِمِرلينچ في هذا المجال، تلافى استخدام المصطلح "هِتْنَحْلُوت" (مستعمرة استيطانيّة) ذي الدلالات السلبيّة، وآثَرَ استخدام مصطلح "هِتْيَشْڤُوت" (مستوطنة) الذي يحمل دلالات إيجابيّة. كذلك يتجاهل كِمِرلينچ -في انتقائه التركيزَ على المجتمع الاستيطانيّ- إسقاطات مشروع الاستعمار الاستيطانيّ الإسرائيليّ على المجتمع الفلسطينيّ، بدءًا بخسارة الأرض على المستوى الفرديّ، وانتهاءً بخسارة الوطن على المستوى الجمعيّ. وعلى الرغم من تطرُّقه إلى الفلسطينيّين في كتاب "الفلسطينيّون: شعب في تكوينه"، الذي ألّفه بصحبة مچدال (1999)، فقد حُشِرت المسألة الاستعماريّة في طيّات الماضي في هذا العمل كذلك.

هنا يجدر التذكير بشفير، الذي كان من أوائل من قدّموا عملًا نظريًّا وإمپيريًّا مُحْكمًا يرتكزُ على پَرَدايْم الاستعمار الاستيطانيّ في دراسة سيرورة الاستعمار الصهيونيّ في فلسطين (Shafir,

1989). سلّطَ شفير الضوء، في طرحه، على الصراع الصهيونيّ الداخليّ بين المستوطنين اليهود من العمّال وأصحاب رؤوس الأموال، والدَّوْر الذي قام به هذا الصراع في تشكيل ملامح المشروع الصهيونيّ. إذ لقد أمعن تحليله السبّاقُ في النظرَ في تناقضات المصالح التي سادت المجتمع الاستيطانيّ، مفضّلًا الأسباب التي أدَّت به إلى تفضيل الاستيطان التعاونيّ على نظيره الرأسماليّ. أمّا الفلسطينيّون الذين تحدَّوا المشروع الصهيونيّ من خلال مقاومتهم الاستعمارَ وسيطرتَه على الأراضي قبل العام 1948، والذين دفعوا ثمن التهجير اللاحق والمتواصل، فقد ظلّوا خارج نقاشه هو كذلك.[27]

لم يُجْرِ أوري رام (1993، 1995)، بخلاف كِمِرلينچ وشفير، بحثًا إمپيريًّا في دقائق مشروع الاستعمار الاستيطانيّ، ولكنّه كشف النقاب، بوصفه عالِمَ اجتماع متخصّصًا بالمعرفة، عن الجذور الاستعماريّة الاستيطانيّة للمجتمع الإسرائيليّ، وأبرزَ كيفيّة ارتباط علم الاجتماع بتأسيس إسرائيل، وتماهيه مع أهدافها الصهيونيّة. أجرى رام مسحًا نقديًّا لأعمال علماء اجتماع يعملون ضمن إطار پَرَدايْمات مختلفة، دون أن يغفل إسهامات باحثين فلسطينيّين وعرب في تطويرها. في الفترة نفسها تقريبًا، نشرت نيرا يوڤال - ديڤيز ودايڤا ستاسيوليس كتابًا مقارنًا عن الاستعمار الاستيطانيّ، شمل الحالة الإسرائيليّة _ الفلسطينيّة. من اللافت للانتباه أنّه على الرغم من استيعاب علم الاجتماع في إسرائيل بصورة خاصّة، والعلوم الاجتماعيّة بصورة عامّة، لأعمال يوڤال - ديڤيز الأخرى حول الجنس والمواطَنة والقوميّة، لم يحظَ بحثها بشأن الكولونياليّة الاستيطانيّة بالاهتمام نفسه. هذا التحاشي، أيضًا، كما أجادل، هو جزء من نمط عامّ داخل "علم الاجتماع الإسرائيليّ" يتجاهل الأعمال البحثيّة التي تتناول الجذور الكولونياليّة الاستيطانيّة لدولة إسرائيل والمجتمع.

إذًا، الموجة الأولى من الاستعانة بپَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة لقراءة السياق المحلّيّ، برمّته، تمحورت في الممارَسات الاستعماريّة والمجتمع الاستيطانيّ قبل العام 1948 بالمجْمَل. أمّا الفترة التي تَلَت العامَ 1948، فلم تُناقَش بأدوات تحليليّة مماثلة على الرغم من تواصل السيرورة الاستعماريّة، سواء في ذلك ما قبل حرب العام 1967 وما بعدها، وقد عُرِفت هذه السيرورة بالتهويد ضمن الخطّ الأخضر، وبِـ "هِتْنَحْلُوت" -أي الاستيطان الاستعماريّ- خارجه. صحيح أنّ أعمال علماء الاجتماع النقديّين فتحت آفاقًا جديدة، وشرّعَت أبوابًا إضافيّة أمام البحث النقديّ، غير أنّهم تبنَّوْا -في الغالب- مصطلحات صهيونيّة، على نحوِ ما نجد في وصفهم الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين بأنّها "عَلِيَاه"، عوضًا عن الهجرة، وفي قولهم "يِشُوڤ" لا مستعمَرة، فيما تلافَوْا مصطلحاتٍ مثل "بناء أمّة كولونياليّة استيطانيّة". يلاحَظ

27. تجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذا الكتاب ذو تأثير ضئيل في إسرائيل، مقارَنةً بالكتاب الذي ألّفه شفير برفقة يوآف پيلِد، والذي لم يستخدم پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة، وكان له تأثير كبير. انظروا: (Shafir & Peled, 2002).

اعتماد الأسلوب ذاته لدى أكاديميّات نسويّات نقديّات يحلّلن الخطاب الأبويّ القوميّ، بينما يتجاهلن جذورَ الاستعمار وتَمَظْهُراته الآنيّة (Abdo, 2011). في المقابل، أهمل علماء الاجتماع النقديّون الإسرائيليّون والمؤرّخون الجدد أعمال الباحثين الفلسطينيّين والعرب، لا لجهلهم اللغة العربيّة فحسب،[28] بل كذلك لندرة تواصلهم مع البحث المعرفيّ الذي ينتجه العالم العربيّ.[29]

شهدت بدايات التسعينيّات جدلًا أكاديميًّا حول بنْية إسرائيل كدولة يهوديّة وديمقراطيّة، سيطر عليه باحثون في العلوم السياسيّة والقانون، من بينهم چابيزون (1998)، والباحث في العلوم السياسيّة أسعد غانم، وعالم النفس الاجتماعيّ نديم روحانا، والجغرافيّ أُورِن يِفْتَحْئيل (Ghanem et al., 1998)، والباحث في العلوم السياسيّة أمل جمّال (2002). وكان من أبرز المشاركين في هذا الجدل عالم الاجتماع سامي سْموحا (1999) الذي وضع مصطلح "الديمقراطيّة الإثنيّة"، مدّعيًّا أنّ النظام في إسرائيل يجمع بين السيطرة الإثنيّة وضمان الحقوق السياسيّة والديمقراطيّة للمواطنين. ابتكر يِفْتَحْئيل (2000)، في المقابل، مصطلح "إثنوقراطيّة" كي يعبّر عن أنّ النظام السياسيّ في إسرائيل مُعَرَّف على أساس الإثنيّة اليهوديّة. وفي الصدد ذاته، خالف كلّ من غانم وروحانا ويِفْتَحْئيل الباحثين الصهيونيّين الذين زعموا أنّه ما من تناقض جوهريّ بين طابعَيْ دولة إسرائيل اليهوديّ والديمقراطيّ، وادّعى ثلاثتهم أنّه لا يمكن للدولة أن تكون ديمقراطيّة ويهوديّة في آن، لأنّ طابعها اليهوديّ يحتّم عليها منْح امتيازاتٍ لمواطنيها اليهود على حساب أبناء مجموعات إثنيّة أخرى (Ghanem et al., 1998; Rouhana, 1977). وجّه راز-كْراكوتْسْكين (2007) -وهو أحد أبرز المؤرّخين اليهود الذين أسهموا في تطوير الخطاب الثنائيّ القوميّة في السياق الفلسطينيّ الإسرائيليّ- نقدًا لاذعًا لتعريف إسرائيل بأنّها يهوديّة وديمقراطيّة، محاججًا أنّ هذه المعادلة تخدم، بالضرورة، حقوق اليهود فيما لا تكترث لحقوق الفلسطينيّين، ومؤكّدًا، كذلك، أنّ نقاش هذا التعريف أكاديميًّا ضمن حدود العام 1967 أجوفُ، ويتجاهل الاحتلال، ويترك انطباعًا مغلوطًا مُفادُهُ أنّ الاحتلال حدثٌ مؤقّت. لم يتبنَّ الباحثون الفلسطينيّون في إسرائيل، في تلك المرحلة، إطار الكولونياليّة الاستيطانيّة هم أيضًا.

باستثناء يِفْتَحْئيل، معظم الأكاديميّين في إسرائيل، مّمَن خاضوا نقاشات حول طبيعة الدولة، تجاهلوا مكوّنات هذه الدولة الكولونياليّة الاستعماريّة، واستمرّت هذه الحال حتّى السنوات

28. على سبيل المثال، كَتَب بيني موريس حول الفلسطينيّين، ولم يكن يَعرف اللغة العربيّة. وقد أشار استطلاع أُجرِيَ حديثًا أنّ 6.2% من اليهود الإسرائيليّين يستطيعون قراءة صحيفة باللغة العربيّة. أمّا نسبة الذين يستطيعون قراءة أدب باللغة العربيّة، فتتدنّى إلى أقلّ من 1%. انظروا: (شنهاڤ وآخرون، 2015).

29. في المقابل، على نحوٍ ما سوف نشير لاحقًا، يتميّز البحث الأكاديميّ، الذي أُجرِيَ في إطار الموجة الحاليّة من پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة، باعتماد الباحثين والباحثات على مصادر مدمجة ولغات مختلفة من البحث الأكاديميّ الفلسطينيّ والإسرائيليّ.

الأخيرة. هم يدّعون أنّ لليهود، كسائر الشعوب، حقًّا في إقامة دولة قوميّة خاصّة بهم، بغضّ الطرف عن المكانة التفضيليّة الممنوحة لليهود، بمن فيهم أولئك الذين لا يعيشون في إسرائيل، بموازاة حرمان المواطنين الفلسطينيّين في إسرائيل من حقوقهم الجمعيّة، وسلب حقوق اللاجئين الذين هُجِّروا من فلسطين، وعدم السماح لهم بالعودة. لم يسفر النقاش الأكاديميّ حول طبيعة دولة إسرائيل عن نقاش عامّ إلّا بعد تأسيس حزب التجمّع الوطنيّ الديمقراطيّ في العام 1996، ومطالبته بأن تكون إسرائيل دولةَ جميع مواطنيها. نشر المفكّر والقائد السياسيّ عزمي بشارة، أحد مؤسّسي حزب التجمع، مقالةً مفصليّةً عَنْونَها بِـ "في مسألة الأقلّيّة الفلسطينيّة في إسرائيل" (بشارة، 1993)، وأطلق من خلالها جدلًا تاريخيًّا بين الباحثين الفلسطينيّين والإسرائيليّين، وكان العام 1948 نقطةَ هذا الجدل المركزيّةَ، على أنّه لم يتّخذ الكولونياليّة الاستيطانيّة إطارًا بعد. وقد حظيت هذه المقالة باهتمام جِدّيّ في الأوساط الأكاديميّة الإسرائيليّة الناقدة، في حين أنّ مقالًا لاحقًا (نُشِر في العام 1997 باللغة العربيّة، وبالعبريّة في العام 1999) يَنظر إلى المشروع الصهيونيّ على أنّه مشروع كولونياليّ إضافة إلى كونه مشروعًا قوميًّا، ويحتجّ على أنّ الأسطورة الصهيونيّة لا تتعاطى مع الواقع الكولونياليّ، كان له تلقٍّ مختلفٌ تمامًا، وذاك ربّما بسبب التنصُّل العامّ من الإطار الكولونياليّ بين الباحثين الإسرائيليّين (بشارة، 1997؛ 1999). أمّا المقال الثاني، فلم ينظّر فقط في علاقة الأقلّيّة الفلسطينيّة بالدولة، بل كذلك في الحركة الصهيونيّة باعتبارها حركة كولونياليّة استيطانيّة ولّدت دولة كولونياليّة استيطانيّة.

ومن المهمّ ملاحظة أنّه في إطار مصفوفة القوى بين السكّان الأصليّين والمستوطِنين المستعمِرين في إسرائيل، كما هو الحال في معظم المجتمعات الكولونياليّة الاستيطانيّة، كان المستعمِر هو المنتِج للمعرفة، وكان المستعمَر (الفلسطينيّ في هذه الحالة) متلقّيًا سلبيًّا، وذلك إمّا بأن يكون موضوعًا للدراسة أو بأن يكون قادرًا على إنتاج معلومات عن مجتمعه، وفي حالات نادرة فقط على اتّباع أساليب تحليليّة رئيسيّة. لم يكن من المتوقّع (من قِبل المجموعة المهيمِنة) أن يحلّل الفلسطينيّ الصهيونيّةَ أو المستعمِرين اليهودَ تحليلًا نقديًّا؛ إذ لسنوات تدفّقت المعرفة، في الغالب، في اتّجاه واحد. ويعكس هذا النمطَ عددٌ من علماء الاجتماع والمؤرّخين الفلسطينيّين الذين جرى تجاهل أعمالهم على نحوٍ بالغ. وعلى ذلك، لم تتعاطَ الأبحاث المهيمِنة مع أعمال عالمة الاجتماع النسويّة الفلسطينيّة الكَنَديّة نهلة عبده حول الكولونياليّة الاستيطانيّة الصهيونيّة في التسعينيّات، حتّى عندما التقط علماء غير فلسطينيّين أجزاء من حججها (Abdo, 1992; Abdo & Yuval-Davis, 1995). على سبيل المثال، تقدّم مقالتها المنشورة في العام 1990، "العنصريّة والصهيونيّة والطبقة العاملة الفلسطينيّة، 1920-1947"، رؤية متبصّرة فريدة للقضاء على الكولونياليّة الاستيطانيّة، والقوميّة، والعنصريّة، إلى جانب الطبقيّة.

> وفي الدولة الكولونياليّة الاستيطانيّة، تمارس الطبيعة القمعيّة للسياسات القوميّة ضغوطًا إضافيّة على "السكّان الأصليّين". وهكذا، فبالإضافة إلى التناقضات الطبقيّة والجنسانيّة التي تتّسم بها جميع النُظُم الرأسماليّة، تَنتج عن نظام كولونياليّ استيطانيّ أشكالٌ أخرى معيّنة من التناقضات التي يعبَّر عنها في النفي الثقافيّ /القوميّ وإخضاع "السكّان الأصليّين" (Abdo, 1992, p.6).

ويعكس إقصاء أعمال عبده، التي سبقت البَرَدايْم الكولونياليّ الاستيطانيّ في موجته الحاليّة والذي طوّره وولف وآخرون، بنْيةً أوسع لإنتاج المعرفة الإقصائيّة في إسرائيل.

ويغفل عدم الاعتراف بالمعارف الأصلانيّة حدود المعرفة البديلة. ويمكن أن تكون المعارف الأصلانيّة صارمة منهجيًّا (من حيث الحسّاسيّة السياسيّة والثقافيّة)، وفي الوقت نفسه متجذّرة في المكان والزمان (كمجموعة داخليّة أو خارجيّة، أو كمجموعة غريبة من الداخل) (Collins, 1986; Smith, 1999). في اقتفاء أثر البَرَدايْم الكولونياليّ الاستيطانيّ، أطرح أنّ علم الاجتماع النقدي الإسرائيليّ، وإن كان رائدًا ضمن المنظومات الفكريّة الإسرائيليّة، قد عانى من قِصر النظر الناجم عن الهيمنة. ويتعيّن علينا أن نتساءل: كيف يجري تلقّي الأعمال المختلفة عبْر فترات زمنيّة سياسيّة مختلفة، ولماذا تظهر هذه الأعمال في الأوقات التي تظهر فيها؟ إنّ مقارنة الفروق في تلقّي هذه المعارف السوسيولوجية المختلفة تدلّ على الثقوب والتغيُّرات التي تشكّل تطوُّر علم الاجتماع في إسرائيل، كما سأعرض لاحقًا.

2. دراسات ما بعد الاستعمار

تطوّرت نظريّة ما بعد الاستعمار كتوجُّهٍ يركّز على تداعيات الاستعمار السياسيّة والثقافيّة الواسعة على المجتمع، وبخاصّة على المستعمرات أثناء رزوحها تحت النظام الاستعماريّ، وحتّى بعد المباشرة في السيرورة الرسميّة لتفكيك الاستعمار. قام بتطوير هذه النظريّة، في الأساس، باحثون قادمون من دول العالم الثالث، ومقيمون في الولايات المتّحدة وأوروبا. تناولت هذه النظريّة أشكال العنف، وإساءة استعمال السلطة التي تواصلت حتّى بعد انتهاء الاستعمار رسميًّا. كان إسهام دراسات ما بعد الاستعمار في علم الاجتماع والتاريخ يتبع، إلى حدّ كبير، الاستعمارَ في مركز الهُويّة الأوروبيّة، ويؤكّد عدم قابليّة تطبيق الكونيّة (الشموليّة) الغربيّة على المستعمَر. تُعالِج نظريّة ما بعد الاستعمار البنى النيو_كولونياليّة للسلطة في العلاقات بين الدول المستعمِرة والمستعمَرة بعد استقلالها، وتُظهِر أنّ البنى الاستعماريّة العميقة ما انفكّت تعيد تشكيل المجتمعات المستعمَرة سابقًا. تُبيِّن أبحاثُ ما بعد الاستعمار كذلك أنّ الاستقلال السياسيّ بحدّ ذاته غير قادرٍ على معالجة حالات انعدام المساواة وفوارق القوّة المتجذّرة.

في الحالة الإسرائيليّة، استند باحثون إسرائيليّون إلى أعمال مفكّرين مثل إدوارد سعيد، وألبير ميمي، وفرانز فانون، وهومي بابا، وچاياتري سپيڤاك، وآخرين، كي ينتقدوا الهيمنة الإشكنازيّة على المشروع الصهيونيّ، مستحضرين عدسة اليهود الشرقيّين /المزراحيم لتحليل المجتمع والثقافة في إسرائيل. على سبيل المثال، اعتمدت مشاريع بحثيّة عديدة نظريّةَ التهجين (Hybridity) التي وضعها هومي بابا، أو دراساتِ التابعين، كي تكشفَ كيف أسهمت عَرْقَنَة المزراحيم الإسرائيليّين في الحطّ من مكانتهم الثقافيّة والسياسيّة (حِيفِر وأوفير، 1994؛ شنهاڤ، 2004). من المحتمل أن تكون دراسات ما بعد الاستعمار قد مهّدت الطريق أيضًا لتلقّي أوسع لپَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة من خلال إثارة تَحَدٍّ إپستمولوجيّ، وخلق أشكال معرفة جديدة، بما في ذلك پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة.

في المعتاد، يدّعي منظّرو ما بعد الاستعمار أنّ نظريّتهم لا تصوّر الماضي الاستعماريّ فحسْب، بل تصوّر الحاضر كذلك؛ ويضيفون أنّ العارضة (-) بين "پوست" (ما بعد) وَ "كولونياليّ" (بالإنچليزيّة) لا تشير إلى نهاية الاستعمار، بل إلى استمراره حتّى زماننا الحاضر. وعلى الرغم من ذلك، أَفْضى -برأيي- تطبيقُ هذا الإطار التحليليّ في إسرائيل، ولا سيّما في مجال النقد الثقافيّ، إلى تحليل إپستمولوجيٍّ مشوَّش، يُموْضِع الاستعمارَ في عهدة الزمن الماضي. أنتج هذا التوجُّه وعيًا زائفًا من خلال مقاربته الواقع في إسرائيل مع حالات ما بعد استعمار أخرى تطوّرت حول العالم في أعقاب موجات تفكيك الاستعمار التي شهدها عَقْدا الخمسينيّات والستّينيّات، ولعلّ أوهام عمليّة السلام المنبثقة من اتّفاقيّات أوسلو كان لها دَوْر في تعزيز استنتاجاتهم. حَدّقَ هذا التوجُّه من "ما بعد الاستعمار" مليًّا في الزوايا الثقافيّة كالعِرْق والإثنيّة والجندر عوضًا عن الأبعاد المادّيّة كالطبقة والموارد ورأس المال أو الأبعاد الاجتماعيّة الكولونياليّة للعلاقات بين المستعمِر والمستعمَر. وفي الوقت عينه، استخدم الباحثون الإسرائيليّون أعمال إدوارد سعيد استخدامًا شديد الانتقائيّة. ففي حين تبنَّوْا نظريّته عن الاستشراق (Said, 1979a)، تناسَوْا كتابه الذي يحمل العنوان "القضيّة الفلسطينيّة" (Said, 1979b)، أو مقالته "الصهيونيّة من وجهة نظر ضحاياها"، التي يسبك فيها الصراع الفلسطينيّ الصهيونيّ في قالب الاستعمار الاستيطانيّ.[30] برزت الانتقائيّة ذاتها في تعامل الباحثين الإسرائيليّين مع كتابات فرانز فانون، إذ آثروا فانون ما بعد الاستعماريّ، الذي كتب "بشرة سوداء، أقنعة بيضاء" (Fanon, 1952)، حيث تأمّلاته في العِرْق والهُويّة، على فانون المناهِض للاستعمار ومؤلِّف "معذَّبو الأرض" (Fanon, 2004) الذي ناقش فيه البنى الاستعماريّة والمقاوَمة المناهِضة للاستعمار (شنهاڤ، 2006).

30. للتوسّع في نقد الأكاديميا الإسرائيليّة في هذا الخصوص، انظروا أيضًا: (Shohat, 2004).

لم تُفرز "الموجة الأولى" من تحليل الكولونياليّة الاستيطانيّة المفصَّلة أعلاه إطارًا تحليليًّا هامًّا في مجالَي العلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة في إسرائيل، بينما انتشر پَرَدايْم "ما بعد الاستعمار" كالنار في الهشيم، وأُدمِج في مساقات متعدّدة ومؤتمرات أكاديميّة ودراسات لا تُعَدّ ولا تُحصى. لمَ لمْ يثبِّت پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة خُطاهُ في الأكاديميّة الإسرائيليّة؟ هذا سؤال إپستمولوجيّ مرتبط بإنتاج المعرفة المهيمنة في إسرائيل. وفي حين أنّ نقد ما بعد الاستعمار يتحدّى الأيديولوجيا الصهيونيّة، نجد أنّه -كما أدّعي- ظلَّ حبيسَ المراجعات الذاتيّة، ولم يُثمر عن لغة نقديّة تسهم -كأبحاث أخرى في إسرائيل- في إنتاج مقاومة فعّالة للنظام المهيمِن (Grinberg, 2009).

يشير أتباع نظريّة ما بعد الاستعمار في إسرائيل فعلًا -وإنْ باقتضاب- إلى وجود استعماريّ في الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة سنة 1967، ولكن إنْ ترتدّ الأبصار نحو العام 1948، تجدوهم ينزعون إلى زجّ القضيّة الاستعماريّة في الزمن الماضي، والتعامل مع إسرائيل بحدودها ضمن الخطّ الأخضر على أنّها معطًى مفروغٌ منه. من المؤكّد أنّ التوجُّه ما بعد الاستعماريّ ساعد على بداية تفكيك التمييز العِرْقي والطبقيّ والجندريّ نظريًّا في إسرائيل، مخلخِلًا بذلك أركان "ضمير الأمّة الجامع" (Ram, 2011)، إلّا أنّ ذلك كلّه لم يتجاوز إطارَ النقد الليبراليّ، ولم يفلح في مواجهة جوهر المشروع الصهيونيّ المتجذّر في تعريف إسرائيل كدولة "يهوديّة _ ديمقراطيّة". لذا، قد يتعاطف بعض الفلسطينيّين، في إسرائيل، مع معاناة اليهود الشرقيّين سواء أحدثت في البلدان العربيّة التي هاجروا (أو هُجِّروا) منها أَمْ في إسرائيل، وقد يعترفون بوضع الشرقيين الهامشيّ ضمن المشروع الصهيونيّ، ولكنّهم (أي الفلسطينيّين في إسرائيل) يرون أنه على وجه العموم يوظّف النقد ما بعد الاستعماري من قبل الأكاديميّين والناشطين الشرقيّين كوسيلة لتحقيق "عدالة" في توزيع السلب الاستعماريّ للشرقيّين اليهود وضمن الواقع الكولونياليّ الذي أنتجته الصهيونيّة، حيث لا يحدو بهم هذا التوجُّه إلى مساءلة منابع الثروة والموارد التي روكمت خلال السيرورة الاستعماريّة الاستيطانيّة، أو تبعات المشروع على الفلسطينيّين. وعلى الرغم من أنّ علم الاجتماع الإسرائيليّ قد أَدرج بعض تفكُّرات ما بعد الاستعمار، أي معاينة التوق الاستشراقيّ في الممارسات السياسيّة، كانت تلك الرؤى محدودة تاريخيًّا، ولم تشمل إعادة النظر في العلاقات بين إسرائيل والفلسطينيّين على أنّها علاقة كولونياليّة بماهيّتها.

مؤخَّرًا، وضعت الباحثتان يالي هشاش وسْمَدار شارون هذه التوجُّهات تحت طائلة نقد معاصر، حيث انتقدت الأولى (هشاش، 2017) التوجُّه ما بعد الاستعماريّ لتجاهله علاقاتِ الفقر بالاستعمار والأساليبَ التي استُخدِم فيها الفقر وسيلةً لتعزيز السيطرة الاستعماريّة في المدن الكبرى وفي المستعمَرات. أمّا الثانية (شارون، 2018)، فعالجت قضيّة ممارسات

الاستعمار الاستيطانيّ عبْر بحثها حول ممارسات الاستعمار وسط المهاجرين الشرقيّين في مستعمَرة واقعة في منطقة "حِيفِل لَخِيش" (عسقلان تقع ضمن هذه المنطقة) في إسرائيل خلال سنوات الخمسين. ناقشت هذه الدراسات مواضيع نوقشت في إسرائيل حتّى الآن على نحو منفصل: قضيّة الاستعمار الاستيطانيّ (أو "الصراع الإسرائيليّ_الفلسطينيّ" كما اصطُلِح على تسميته)، وقضيّة عدم المساواة الاجتماعيّة (أو "عدم المساواة الجندريّة والإثنيّة في إسرائيل").

لكن كما سوف نرى لاحقًا، العمل الأكثر أهمّيّةً حول الكولونياليّة الاستيطانيّة نشره باحثون وباحثات فلسطينيّون. ادّعى هؤلاء الباحثون والباحثات، الذين أخذوا على عاتقهم مسؤوليّة تحليل الكولونياليّة الاستيطانيّة، أنّ پَرَدايْمات أخرى ليست بكافية لشرح أو تعليل الواقع المَعيش في ظلّ السيطرة الإسرائيليّة، نظرًا لأنّ مصادرة الأراضي هي حجر الأساس في هذا الواقع. وكما سأدّعي هنا، يشوب نظريّة ما بعد الاستعمار، على سبيل المثال، قصورٌ مفاهيميّ، لا بسبب العامل الزمانيّ الذي تفرضه عبارة "ما بعد" فحسب (ففلسطين لم تحظَ باستقلالها كي ندّعي أنّنا في مرحلة ما بعد الاستعمار)، ولكن، كذلك، لأنّ النظريّة ما بعد الاستعماريّة تُستخدَم لوصف أمم خضعت سابقًا للاستعمار القائم على أساس الوكالة (Franchise colonies)، لا الكولونياليّة الاستيطانيّة.

تطوّر پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة في البحث الفلسطينيّ

على الرغم من أنّ الحالة الفلسطينيّة _ الإسرائيليّة تتشابه مع حالات كولونياليّة استيطانيّة أخرى، تفادى باحثون فلسطينيّون، حتّى فترة قريبة، إجراء مقارنات كهذه. قد يُعْزى هذا النفور إلى حقيقة أنّه في حالات كولونياليّة استيطانيّة أخرى، ربّما "نجحت" مجموعات المستعمِرين في تصفية الغالبيّة الساحقة من السكّان الأصليّين. وعليه، تحوّل هؤلاء السكّان الأصليّون (على امتداد مئات السنين على الأقلّ) إلى مجموعات ثقافيّة تجسّدت حقوقها، في الأساس، بالاعتراف الثقافيّ، بينما حُوصِرت سياداتهم في مناطق جغرافيّة محدَّدة، وليس على كامل أرض الوطن تصاغ بمفردات قوميّة.[31] وقد عبّر ياسر عرفات صراحةً عن هذا الفهم في مقابلة شهيرة أُجرِيَت معه، في حزيران سنة 1987، عندما قال: "يستحيل محو خمسة ملايين فلسطينيّ. نحن لسنا هنودًا" (MacLeod, 1987, June 11)، وعليه فقد وقع الخطاب الفلسطينيّ المهيمن في مِصْيَدة الموديل القوميّ الغربيّ الذي يُخضِع الشعوب الأصلانيّة.

31. يمكن أن يفسّر هذا نفور بعض الباحثين الفلسطينيّين من استخدام المصطلح "أصلانيّ" ("Indigenous"). الإشكاليّة التي ينطوي عليها المصطلح في اللغة الإنجليزيّة غير قائمة في اللغة العربيّة بترجمتها الحرفيّة، وتعني السكّان الأصليّين (The original inhabitants).

لا شكّ في أنّ الفلسطينيّين قاوموا، وتشبّثوا بأرضهم، ونجحوا في تشكيل مجموعة قوميّة تتماشى مع الشكل الحداثيّ المهَيْمِن في التأطير القوميّ. رأى الفلسطينيّون في صيغة التحرُّر الوطنيّ تعبيرًا أكثر تطلُّعًا واستمراريّةً عن هذه الأيديولوجيّة، وربّما أسهَمَ ذلك في قلّة الاهتمام بپَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة كعدسة لمعاينة المسألة الفلسطينيّة. في هذا السياق، يدّعي عالِم الاجتماع الفلسطينيّ جميل هلال أنّ تبنّي منظّمة التحرير الفلسطينيّة حلّ الدولتَيْن، وتوقيعها على اتّفاقيّات أوسلو أدّيا، على نحوٍ غير مباشر، إلى الاعتراف بِـ "الحركة الصهيونيّة، كما تقدّم نفسها، كحركة تحرير، وليست حركة استعماريّة استيطانيّة" (هلال، 2016). على الرغم من أنّ الادّعاء المرتبط بالاعتراف غير المباشر بالصهيونيّة كحركة تحرُّر وطنيّ مبالَغ فيه، ما من شكّ أنّ التوقيع على اتّفاقيّات أوسلو قاد إلى الاعتراف بالصهيونيّة كحركة قوميّة، وإلى اعتبار الصراع صراعًا بين حركتَيْن قوميّتَيْن، لا صراعًا بين حركة كولونياليّة استيطانيّة قوميّة وحركة قوميّة أصلانيّة.

أعادت الأحداث التي شهدتها السنوات الأخيرة پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة إلى الواجهة؛ إذ إضافةً إلى تطوُّر البحث على الصعيد الدوليّ وتأثيره محلّيًّا، اعتُبِر تطبيق هذا الپَرَدايْم في الحلبة الفلسطينيّة تطوُّرًا فكريًّا استجاب للتحوُّل السياسيّ والاجتماعيّ. فقد ترافق التحوُّل إلى پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة مع عدّة عوامل مترابطة: فشل اتّفاقيّات أوسلو، وفشل إعادة بناء منظّمة التحرير الفلسطينيّة في أعقاب تأسيس السلطة الوطنيّة الفلسطينيّة، وتراجُع الحركات السياسيّة الوطنيّة والاشتراكيّة الفلسطينيّة في الضفّة الغربيّة وقِطاع غزّة، وتَنامي قوّة حركة حماس وحركة الجهاد الإسلاميّ، بالإضافة إلى غياب مشروع فلسطينيّ وطنيّ شامل قادر على مقارعة إسرائيل، وتعاظُم أهمّيّة الفلسطينيّين، مواطني إسرائيل، في الحِوار المتجدّد بين مكوّنات الشعب الفلسطينيّ كافّة، بمن فيهم اللاجئون والذين في الشتات، وكذلك إمعان إسرائيل في سياساتها الاستعماريّة داخل فلسطين التاريخيّة.

شهدت نهاية التسعينيّات تحوُّلًا في المجتمع الفلسطينيّ داخل إسرائيل. خلال الحكم العسكريّ، وحتّى منتصف التسعينيّات تقريبًا، قُمِعت ذكريات النكبة بين الفلسطينيّين. ولكن من خلال المسيرات الرمزيّة والفنون، تطوّرت ذكرى النكبة تدريجيًّا إلى عرض عامّ للتأثير الصادم، ممّا أدّى في نهاية المطاف إلى "عودة التاريخ" في الخطاب السياسيّ المناهض للاستعمار، مع حركة اجتماعيّة _ سياسيّة تطالب بدولة لجميع المواطنين (Rouhana & Sabbagh-Khoury, 2019). ففي أعقاب فترة من النضال المستمرّ، أصبح مفهوم النكبة محورًا مركزيًّا في الوعي الثقافيّ الجمعيّ والوطنيّ المعاصر في أوساط الفلسطينيّين في إسرائيل، وفي نشاطهم السياسيّ أيضًا، وأعاد إحياءُ تاريخ النكبة في الحيّز العامّ، الذي ترسّخ من خلال تقليد مسيرات العودة منذ العام 1998 -بموازاة فقدان الأمل بتسوية سياسيّة

شاملة- عُمْقَ الصراع للوعي الفلسطينيّ، وأعاد النظرَ إلى الحركة الصهيونيّة، بل إلى دولة إسرائيل كذلك، كمشروع كولونياليّ استيطانيّ. كانت هذه هي النظرة السائدة في أوساط أبناء الشعب الفلسطينيّ قبل العام 1948. برز هذا الإدراك في صياغة وثائق "التصوُّر المستقبليّ" التي نشرتها جهات فلسطينيّة عديدة داخل إسرائيل بين العامَيْن 2006 وَ 2007 تحت مظلّة مؤسّسات المجتمع المدنيّ وَ "لجنة المتابعة العليا للجماهير العربيّة في إسرائيل".[32]

حظِيَ هذا الوعي المنبعث من جديد باهتمام باحثين وأكاديميّين فلسطينيّين داخل إسرائيل، إذ مكّنتهم معرفتهم بالمجتمع والثقافة اليهوديّة، وإتقانهم اللغة العبريّة من الاطّلاع على المشروع الصهيونيّ بحذافيره.[33] يتبوّأ أكاديميّون فلسطينيّون، من أبناء الجيل الثاني والثالث للنكبة، دَوْرًا مركزيًّا في التنظير، وفي الترويج لپَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة أمام الطلّاب الفلسطينيّين في الجامعات الإسرائيليّة، وفي مراكز الأبحاث، وفي حلقات أكاديميّة فلسطينيّة في الضفّة الغربيّة. يمكن الاستدلال على نماذج لهذه الأبحاث في أعمال قدّمها باحثون من بينهم هُنَيْدة غانم، ومهنّد مصطفى، وأسعد غانم، وأريج صبّاغ-خوري، ومنصور نصاصرة، وإسماعيل أبو سعد، ونادرة شلهوب-كيڤوركيان، وأحمد أمارة، ولنا طاطور، ونديم روحانا، ومجيد شحادة، وأحمد سعدي، وإيليّا زريق، ورائف زريق، وأمل جمّال، وسراب أبو ربيعة-قويدر، وإسماعيل ناشف، وآخرون.[34] ليست أعمال هؤلاء الباحثين محض جهود فرديّة فحسب، بل هي نتاجُ مسعًى جمعيّ ضمّ تحت مظلّته مجموعات بحثيّة في مراكز أبحاث فلسطينيّة أو في ورشات عمل وحلقات بحثيّة ومؤتمرات يقودها فلسطينيّون.[35]

تُعيدُ مثل هذه المبادرات البحثيّة بَلْوَرة أساليب التعاون مع مؤسّسات أكاديميّة وباحثين يهود، وتُحوّل اتّجاه تدفُّق إنتاج المعرفة، بحيث باتت الحلقات البحثيّة والورشات، التي كانت

32. وثائق التصوُّر المستقبليّ: دستور عدالة الديمقراطيّ؛ التصوُّر المستقبليّ للعرب الفلسطينيّين في إسرائيل الصادر عن لجنة رؤساء السلطات المحلّيّة العربيّة؛ وثيقة حيفا المنبثقة عن مدى الكرمل: المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة والتطبيقيّة؛ دستور مساواة للجميع المنبثق عن مركز مساواة لحقوق المواطنين الفلسطينيّين في إسرائيل.

33. قبل ذلك، ساعد الإلمام والمعرفة باحثين فلسطينيّين من إسرائيل (كصبري جريس -على سبيل المثال) أن يتبوّأوا مناصب مرموقة في مركز الأبحاث التابع لمنظّمة التحرير الفلسطينيّة، الذي أُسّس في بيروت سنة 1965.

34. انظروا، على سبيل المثال: غانم، 2016؛ Abu-Rabia-Queder, 2019; Abu-Saad, 2008; Jamal, 2002; Kedar et al., 2018; Nasasra, 2012; Rouhana & Sabbagh-Khoury, 2014, 2019; Sabbagh-Khoury, In press; Sa'di, 2012; Shalhoub-Kevorkian, 2014; Shihade, 2012; Tatour, 2019; Zreik, 2004; Zureik, 2016.

35. أُطلقت أولى المجموعات البحثيّة التي بادر اليها وأشرف عليها نديم روحانا والتي تناولت پَرَدايْم الاستعمار الاستيطانيّ في إسرائيل من قبل مدى الكرمل، المركز العربيّ للدّراسات الاجتماعيّة والتطبيقيّة في حيفا، في العام 2015. ضمّت الندوة مجموعةً من طلبة الماجستير والدكتوراة الفلسطينيّين من إسرائيل والضفّة الغربيّة، وباحثين بارزين في الحقل بمن فيهم مثلًا پاتريك وولف. كما ترأّس الأكاديميّ الفلسطينيّ رائف زريق مبادرةً إضافيّةً عُقدت في كليّة العلوم الإنسانيّة في جامعة تل أبيب، تخلّلتها سلسلةٌ من أربع محاضرات بعنوان: "من مستوطنين إلى أصحاب الأرض". أصدر زريق مقالته (Zureik, 2016) متى يصبح المستوطن صاحب أرض" (مع الاعتذار من ممداني) بالاستناد إلى هذه السلسلة، ومتطرّقًا إلى مواضيعَ سياسيّة ونظريّة مركزيّة مرتبطة بالدّور (إن وُجد) الذي لعبه السكّان الأصليّون في التشكيك في مكانة المستوطنين، وطرح حلول للصّراع مع أنّهم ضحايا.

أشبه بحكرٍ على الجامعات الإسرائيليّة واللغة العبريّة، تُعْقَد كذلك في مراكز أبحاث فلسطينيّة، وباللغتين العربيّة والإنجليزيّة. تعيد هذه التعاونات إنتاج أشكال جديدة من المعرفة، ويلاحَظ ازديادٌ ملحوظ في حضور الباحثين المختصّين بپَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة في الأكاديميّة الإسرائيليّة قياسًا بسنوات سابقة، ولكن عددهم ما زال منخفضًا، وذاك مرتبط -بطبيعة الحال- بعدد الفلسطينيّين الضئيل في كلّيّات العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة. تُمثِّل هذه التطوُّرات تحوُّلًا ملموسًا في الپَرَدايْم، ولا سيّما أنّه يرافقه تغيير في المنهجيّة ومجموعة الشهادات الشفويّة والمضامين التي يراد إبرازها. تحظى منهجيّات التاريخ الشفويّ باعتراف متصاعد، إذ كثّفت عمليّات الإصغاء إلى قصص الفلسطينيّين المهجَّرين واللاجئين الإدراكَ أنّ المشروع الصهيونيّ هو مشروع استعمار استيطانيّ، كما أضافت هذه الشهادات عنصر الذاكرة المضادّة إلى السرديّة التاريخيّة المهَيْمِنة. صحيح أنّ التفاؤل الذي خيّم في التسعينيّات يبدو اليوم واهيًا، غير أنّنا ما زلنا نشهد خروجَ موادّ أرشيفيّة جديدة مرتبطة بهذه القصص إلى النور (هوفشطاطِر ويَفْـني، 2016). تقدّم الاستقصاءات الفلسطينيّة الجديدة، بخلاف سابقاتها من أدبيّات البحث التي كانت منهمكة، برأيي، بالردّ على السرديّة الصهيونيّة، تحليلاتٍ معمّقةً للتاريخ والواقع الفلسطينيَّيْن وللفلسطينيّين استنادًا إلى أصوات المضطهَدين، وبناءً على عمل باحثين حطّموا الأساطير الصهيونيّة. يسلّط هذا العمل الضوء على مكوِّن الكولونياليّة الاستعماريّة من خلال وضع الممارسات الصهيونيّة تحت المجهر، وتطوير أُطُر نظريّة تتعامل مع المستعمِرين والسكّان الأصليّين، وإلى الإسرائيليّين والفلسطينيّين، في آن. تُبيِّنُ لنا هذه الأعمال الطرق التي سلكها الفلسطينيّون خلال قرنٍ من الزمن في مواجهة سيرورات الاستعمار الاستيطانيّ المتواصلة، وتتمحور حول ظاهرة مقاومة الشعب الأصلانيّ، وحول نقد الصهيونيّة وممارساتها عوضًا عن مجرّد التركيز على الأيديولوجيّة الصهيونيّة بحد ذاتها. يعرف هؤلاء الباحثون، عبر انخراطهم في النضال، وتقديم شهاداتهم الحيّة لتجاربهم الشخصيّة كمقهورين، مجالاتٍ جديدة ومدعّمة من المعرفة الأصلانيّة، ويسهمون في تطوير پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة؛ وبذا، يكونون قد قدّموا دليلًا ملموسًا على أنّ النكبة سيرورة مستمرّة، وليست حدثًا استثنائيًّا جرى في الماضي.

لا تقتصر هذه التطوُّرات على سوسيولوجيا إنتاج المعرفة داخل إسرائيل. كانت نظريّات الجنوب العالميّ /نظريّات العالم الثالث قد أنتجت تنظيرًا نقديًّا حول مجالاتٍ بحثيّة مختلفة في أنحاء العالم كافّة، ولنا في الباحثين الأصلانيّين في أمريكا الشماليّة مثال؛ إذ أشار الادّعاء الذي طرحه المنظّرون والمنظّرات الأصلانيّون خلال العقود الثلاثة الأخيرة أنّ تاريخ الإبادة الجماعيّة ما زال من السِّمات الأساسيّة للولايات المتّحدة، وأسّسوا على هذا الادّعاء مطالَباتهم المتجدّدة بالسيادة أو السيادة القبليّة لسكّان الشعوب الأصليّة على أراضيهم (Coulthard, 2014; Kauanui, 2016; Mamdani, 2015; Simpson, 2014).

لذا، من المنطقيّ الافتراض أنّ استخدام پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة في السياق الإسرائيليّ لم ينبع من التغييرات التي طرأت داخل المجتمع الفلسطينيّ فحسب، بل أصبح ممكنًا كذلك بفضل التحليلات التي أجراها باحثون بارزون في الغرب تناولوا فيها الحالة الإسرائيليّة/ الفلسطينيّة. على الرغم من أنّ پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة كان قد أثّر في بعض الأبحاث التي أجراها أكاديميّون فلسطينيّون وعرب حتّى قبل المرحلة الراهنة من البحث، فقد حُجِبت نتائج تلك الأبحاث من الـ الكانون Canon الإسرائيليّ، وكذلك تجاهلتها المؤسَّسات الأكاديميّة الغربيّة. وكما هو الحال في كثير من الأحيان، أُعيد إنتاج علاقات القوى الاستعماريّة في المجالات الفكريّة والأكاديميّة، حيث نُشِرت ونوقشت أعمال الباحثين الإسرائيليّين وغيرهم من الباحثين الغربيّين على نطاق أوسع، حتّى لو كانت هذه الأعمال في بعض الأحيان إعادة إنتاج لتحليلات نشرها باحثون فلسطينيّون من قَبلهم.[36] يعكس هذا التوجُّه الأبعاد الاستعماريّة (تفوّق الصهيونيّة)، والأبعاد العنصريّة (تفوُّق العِرق الأبيض) للتراتبيّة الهرميّة للمعرفة الأكاديميّة الإسرائيليّة، وكذلك يعكس توجُّهات المركزيّة الأوروبيّة والذكوريّة في إنتاج المعرفة. حتّى في الأعمال النقديّة، غالبًا ينعكس نموذج الهيمنة في المناقشات المتعلّقة بالبنى السياسيّة الإسرائيليّة، وتحديد مَن يتحدّث باسْم مَن، وبأيّ وسيلة، ولأيّ جمهور، وكيف يجري التعامل مع هذه الأبحاث، وكيف يجري تلقّيها. هذه الأسئلة كلّها ترتبط بعلم اجتماع إنتاج المعرفة. يوضّح مفهوم سعيد "الإذن بالسرد"، وعلى نحوٍ دقيق، ما هو على المحكّ في العلاقة بين السلطة والمعرفة (Said, 1984). ولذا سيكون من الصعب تتبُّع تطوُّر الدراسات الكولونياليّة الاستيطانيّة إن لم يتبنَّ إيّاها منظِّرون غربيّون كَـپاتريك وولف، وكارولين إلكينز، وسوزان پيدرسن، ولورنزو ڤيراتشيني، وآخرين.

الـپَرَدايْم في سياق الصراع بين الحركة الصهيونيّة والفلسطينيّين: الملاءمَة، التعقيدات، التحدّيات

إنْ أردنا معاينة بعض التميُّزات التي يطرحها پَرَدايْم الاستعمار الاستيطانيّ بخصوص الصهيونيّة، ينبغي علينا توخّي توجُّهٍ أدقّ، ولا سيّما أنّ إدراك هذه التميُّزات غير ممكن إذا اكتفينا بتحليل الصراع ضمن النطاق القوميّ. يعيد پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة إحياء النقاش في سياق الخطّ الأخضر، وذلك بخلاف السرديّة الصهيونيّة القوميّة التي تتناول أحداث سنة 1948 كحرب بين حركتَيْن قوميّتَيْن، عبْر التعتيم على دَوْر الممارسات العنيفة والاستعمار في فترة ما قبل عام 1948، وعبْر أن يُنسَب (إن حصل النسب أصلًا) الطابعُ

36. وعلى الرغم من الأهمّيّة البالغة لكتاب لوستيك (2019)، فإنّ الپَرَدايْم المفقود، الذي وصفه لوستيك في كتابه "من حل الدولتَيْن إلى واقع الدولة الواحدة"، قد لقي حتّى الآن قَدْرًا كبيرًا نسبيًّا من الاهتمام، في حين لم تحظَ الأطروحات الفلسطينيّة المماثلة بشأن فشل حلّ الدولتَيْن وواقع الدولة الواحدة بالاهتمام نفسه.

الاستعماريّ للاستيطان الصهيونيّ إلى الاحتلال في الأراضي الفلسطينيّة سنة 1967 فقط.[37] يحيلنا هذا البَرَدايْم إلى إعادة النظر في ممارسات الاستيطان الصهيونيّ التاريخيّة والمستمرّة، ومختلف سُبُل المقاومة التي مرّ بها الشعب الأصليّ. وينبغي الالتفات ثانيةً إلى المبدأ الناظم الذي يرتكز عليه المشروع الصهيونيّ، وتحديدًا الالتفات إلى المساعي المتواصلة لحيازة الأرض واحتلالها، وتهجير الشعب الأصليّ، واستبداله بمستعمِرين يهود. وحتّى هؤلاء الذين يزعمون الالتزام بالأيديولوجيا الاشتراكيّة وثنائيّة القوميّة كانوا جزءًا لا يتجزّأ من ممارسة تهجير الفلسطينيّين القسريّ، سواءٌ أكان ذاك مباشرًا أَم غير مباشر (Sabbagh-Khoury, In press).

تحليل الصراع من منظور الكولونياليّة الاستيطانيّة يُتيح لنا فهمه على أنّه "سيرورة لا حدث" (Algazi, 2015). تطوير معادلة وولف الشهيرة "الاقتحام أو الغزو بنْية وليس حدثًا"، باستبدال المصطلح "بنْية" بِـ "سيروة" يتيح، كما أبيّن، تحليلَ النكبة على أنّها سيرورة مستمرّة وتراكميّة في تهجير الشعب الفلسطينيّ الأصلانّي، بدأت قبل النكبة بزمن طويل، ويعارض منهجيّة اعتماد سنة 1948 كنقطة الصفر الميثودولوجيّة (Sabbagh-Khoury, In press). يتيح استخدام اصطلاح "سيرورة لا حدث"، عوضًا عن "بنْية"، اقتفاءَ أثر الممارسات الاستعماريّة ومقاومة الشعب الأصليّ بالتزامن، وهي السيرورة التي تُطْلق كاوانوي عليها اسم "الأصلانيّة الدائمة" ("Enduring indigeneity") (Kauanui, 2016). كما ويراعى، برأيي، التركيز على ديناميكيّة السيرورة الاجتماعيّة، وإعادة إحياء مكانة الشعب الأصلانيّ التاريخيّة على حدٍّ سواء، إذ لم يركّز وولف، عبْر طرحه، على هذين المكوّنين تركيزًا كافيًا. من هنا، فإنّ الصياغة "سيرورة لا حدث" تتيح تعديل الصيغة التي وضعها وولف والتي تَعتبر النكبة حدثًا مستمرًّا، وهذه الاستمراريّة أضحت تأكيدًا سياسيًّا شائعًا، سواء أكان ذاك في الخطاب السياسيّ الفلسطينيّ، أَمْ في كتابات الأكاديميّين العرب والفلسطينيّين.

إنّ نطاق العمليّات التي نفّذتها الصهيونيّة، كما طبّقتها إسرائيل، شهد بعض التحوُّلات، وَفقًا لجغرافيّات أو أزمنة مختلفة ومتداخلة، لكن منطق الصهيونيّة الأساسيّ حول تصفية الشعب الأصلانيّ واستبداله ظلّ ثابتًا. ترجع هذه التحوُّلات إلى سببَيْن أساسيَّيْن: أوّلًا، ليس ثمّة أيدولوجيّة صهيونيّة استيطانيّة شاملة واحدة، بل هنالك طيف من الأيديولوجيّات. تمْكِن

37. حتّى عندما استُخدِم بَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة في تحليل الاحتلال سنة 1967، غُيِّب هذا البَرَدايْم عن تحليل الممارسات التي طوّرتها دولة إسرائيل لإدارة الفلسطينيّين في إسرائيل. وصف فيراتشيني (أحد أكثر المفكّرين الذين استخدموا هذا البَرَدايْم أهمّيّةً) المشروعَ الاستعماريّ داخل حدود الـ1948 كمشروع "ناجح" وتطبيعيّ استكمل تحقيق ذاته (بمعنى أنّ المستوطنين لم يعودوا يُعرَّفون كذلك). في هذا الشأن انظروا: (Veracini, 2013). يتجاهل هذا التحليل حقيقة أنّ دولة إسرائيل تعامل النقب على أنّه منطقة تُخوم يجب أن تُحتلّ، ولا يتعامل مع المصادَرة المنهجيّة للأرض وترحيلها للسكّان وهدم المنازل ورفضها إعادة مهجَّري الداخل، ويتغاضى عن رفض المواطنين الفلسطينيّين تعريف دولة كدولة إسرائيل بأنّها يهوديّة من خلال مطالبتهم بتفكيك الاستعمار.

الإشارة إلى بعض الفروق بين الأيديولوجيّات التي كانت سائدةً في المستعمرة الصهيونيّة قبل عام 1948، والأيديولوجيّات خلال حرب 1948 وبعدها، وفي احتلال سنة 1967، وفي فترة ما بعد 1967 حتّى يومنا الحاليّ، وذلك على الرغم من تنظيم الصهيونيّة الواضح والمتين. يهَيْمن على الصيغ الراهنة للصهيونيّة المنطقُ الدينيّ؛ وهذا تحوُّل جذريّ على الصهيونيّة. يمكن الادّعاء أنّ هذه الديناميكيّات الحاصلة داخل الصهيونيّة وإحلال السيادة الإسرائيليّة سنة 1948 على حدّ سواء قد أدخلت تغييرات جذريّة على بنْية الكولونياليّة الاستيطانيّة. ثانيًا، من الناحية الجدليّة، خضع التعامل التاريخيّ والنظريّ للفلسطينيّين الأصليّين مع الاستعمار لتغييرات تعود إلى موقعهم على الأرض، وإلى أشكال مقاومتهم، وتعبيراتهم المختلفة عن السيادة عبْر الزمن. على الرغم من كون العنف المستمّر بنيويّ في منظومة الاستعمار الاستيطانيّ، فإنّ مقاومة الفلسطينيّين وقدرتهم على البقاء تعيقان هذه البنْية، وتصوغان تحوُّلاتها وتشكّلاتها من جديد.

تسلّط هذه العمليّة الديالكتيكيّة الضوء على أحد جوانب الحالة الإسرائيليّة _ الفلسطينيّة التي ربّما تكون أقلّ وضوحًا بين معظم أمثلة الاستعمار الاستيطانيّ: رفض إدماج السكّان الأصليّين. ففيما تطالب دولة إسرائيل الشعب الفلسطينيّ الأصليّ (مواطني إسرائيل) بالولاء، فإنّها في الوقت نفسه لا تعمل على إدماجهم في إطار الأمّة الإسرائيليّة _ اليهوديّة، ولا سيّما أنّ ما يميّزها هو طابعُها الذي لا يرتكز على إسرائيليّتها بل على يهوديّتها (وهذه كذلك خضعت لتحوُّلات كبيرة). من السّمات الأخرى التي يتّصف بها المشروع الصهيونيّ اعتمادُه على مركّب الدين وعلاقة الشعب اليهوديّ بِـ "أرض إسرائيل" (Wolfe, 2016). مع ذلك، لم تنتقص علاقة المجتمع اليهوديّ بالأرض والمفهوم الدينيّ لليهود كعائدين إلى أرض الميعاد من طابع المشروع كمشروع كولونياليّ استيطانيّ؛ وذلك لأنّ الجانب الإشكاليّ لا يكمن في عودة اليهود، أو في تشكُّلهم كمجموعة قوميّة _ إثنيّة، وإنّما في استيطانهم في (بعكس "هجرتهم إلى") وطنٍ كان، وما يزال، مأهولًا بالفلسطينيّين، وفرْض سيادتهم عليه. فكما يُظهِر خالدي (1997) في دراسته حول التعبير عن الهُويّة الفلسطينيّة إبّان الفترة العثمانيّة (1908-1914)، لم يعارض الفلسطينيّون وجود اليهود في فلسطين، وإنّما عارضوا السّمات الاستعماريّة الاستيطانيّة التي اتّصفت بها الصهيونيّة وهدفها المتمثّل في إقامة وطن قوميّ لليهود في الوطن الفلسطينيّ.

ثمّة مميِّز بارز آخر هو ملامح الصهيونيّة، ووريثتها دولة إسرائيل. فقد صيغَتْ هذه الملامح بدرجة كبيرة بواسطة العلاقات المتبادلة مع الشعب الأصلانيّ، وبواسطة النضالات السياسيّة للفلسطينيّين والمجموعات الفرعيّة التي قُسِموا إليها بعد العام 1948، حيث اتّبعت كلّ مجموعة أسلوبًا خاصًّا في النضال، لكنّها اجتمعت في مطالَبتها باستعادة جزء من الوطن

(الفلسطينيّون في المناطق المحتلّة سنة 1967)، أو استعادة الوطن بأكمله (اللاجئون وجزء من الفلسطينيّين في إسرائيل). لا وجود لحالة كولونياليّة استيطانيّة أخرى تنطوي على وضع معقّد من هذا القبيل حَوّل جزءًا من الشعب الأصلانيّ إلى لاجئين يطالبون بحقهّم في العودة إلى وطنهم، في حين أصبح جزء كبير من الأقلّيّة الأصليّة مواطنين في الدولة الاستعماريّة التي أقيمت في وطنهم، متَحَدّين بذلك تعريف الدولة القوميّة كدولة المستعمِرين حصرًا، كما في حالة الفلسطينيّين في إسرائيل. إلى ذلك، تتجاوزُ الأحزاب السياسيّة التي تمثّلُ الفلسطينيّين، مواطني إسرائيل، الاختلافات الكبيرة في ما بينها، وتطالب جميعها بمواطَنة متساوية، وبتفكيك البنى المرتكزة على الإثنيّة كعامل أساسيّ لمنح الامتيازات للمستعمِرين اليهود، ونضالُهُم لتفكيك الاستعمار يمتاز برفض الحرب وبنفي العسكرة.

تتحدّى بعض النخَب الفلسطينيّة من مواطني إسرائيل أساسًا إقامة إسرائيل كدولة يهوديّة، وتطالب بإعادة صياغة كاملة للسيادة على كامل أرض الوطن الذي استُعمِر سنة 1948، وذلك بخلاف بعض حالات الاستعمار الاستيطانيّ، ككندا والولايات المتّحدة الأمريكيّة، حيث تمارس الشعوب القبليّة، المعترَف بها فدراليًّا، حقّ تقرير مصير بصورة محدودة على مواطنيها، وفي نطاق المحميّات.[38] يمكن أن تُعْزى هذه الميزة الإضافيّة إلى بروز الحركة الصهيونيّة في مرحلة متأخّرة نسبيًّا مقارَنةً بمشاريع استعمار استيطانيّ، وإلى تشابُك المشروع الاستعماريّ في سيرورة تأسيس الأمّة، وإلى مقاومة الشعب الأصلانيّ عندما كان كلّ من الفلسطينيّين والصهيونيّين في خِضَمّ التطوُّر كمجموعتَيْن قوميّتَيْن. فضلًا عن ذلك، اختلفت فلسطين عن غيرها من حالات الاستعمار الاستيطانيّ لأنّها سبق لها أن اندمجت اندماجًا وثيقًا في النظام العالميّ الرأسماليّ. تزامنت سيرورة الاستعمار الاستيطانيّ في أماكن أخرى مع إقامة سُلطة الدولة الحديثة، والملْكيّة الخاصّة للأرض، وإنتاج سلع مُعَدّة للتصدير، في حين سبق لفلسطين أن أُدخلت في هذه البنى الموجودة أصلًا عندما بدأت الحركة الصهيونيّة مشروعها الاستعماريّ في فلسطين.[39]

على الرغم من أنّ تطلُّعات الصهيونيّة إلى إقامة وطن لليهود قد سبقت الهولوكوست، يمكننا القول إنّ الإبادة الجماعيّة ليهود أوروبا خلال المحرقة تُعتبر، بلا شكّ، ميزة إضافيّة لمشروع الكولونياليّة الاستيطانيّة في فلسطين. وإن كُنّا على دراية بوجود حالات لمستعمِرين تعرّضوا

38. تطالب جهات فلسطينيّة في إسرائيل بالسيادة على فلسطين التاريخيّة في إطار دولة علمانيّة واحدة.

39. يَعْزو باحثون عدم القضاء على الشعب الفلسطينيّ الأصلانيّ إلى الفترة المتأخّرة نسبيًّا، التي أُسّس وطُبّق فيها المشروع الصهيونيّ الذي جاء بعد تبنّي الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة سنة 1948 "معاهدة مكافحة جريمة الإبادة الجماعيّة والمعاقبة عليها". كما يمكن الادّعاء أنّ انغماس الجيوش العربيّة في صراع سنة 1948 وموقع فلسطين في قلب العالم العربيّ قد قاما بدَوْر مهمّ في تتبُّع مسار الأحداث.

للاضطهاد والتمييز، فلا توجد حالة أخرى تعرّض فيها المستعمِرون للإبادة الجماعيّة.[40] يجدرُ التذكير بأنّ الحلّ الذي طرحته الصهيونيّة لِـ "المسألة اليهوديّة" لم يكن دائمًا الموقف المهيمن في صفوف يهود العالم. لكن المحرقة همّشت، إلى حدّ كبير، الخيارات السياسيّة البديلة. وتولّد تعاطفُ المجتمع الدوليّ مع القضيّة اليهوديّة جرّاء اضطهاد يهود أوروبا، الذي، بدَوْره، كثّف من الدعم الدوليّ لتقسيم فلسطين بين الفلسطينيّين (الذين شكّلوا غالبيّة السكّان آنذاك) واليهود (الذين كانوا أقلّيّة في ذلك الحين). في موازاة هذا، أفضى العداء للساميّة وعدم الترحيب بالهجرة اليهوديّة في أمريكا الشماليّة، بالإضافة إلى موجات الاستعمار الأوروبيّ السابقة، التي ألهمت هي كذلك الحركة الصهيونيّة، إلى التطلُّع للاستيطان في كيان منفصل، وتأسيس دولة ذات سيادة يمارسون فيها حقوقًا جماعيّة يهوديّة.

على الرغم من أنّ مجموعات مستوطنين استعماريّة قد طوّرت لاحقًا -في حالات أخرى من الكولونياليّة الاستيطانيّة- قوميّةً استيطانيّة مستقلّة، تنفرد الحالة الصهيونيّة بأنّ مشروعها الاستعماريّ الاستيطانيّ اعتمد منذ البداية (وقبل بدء الاستعمار) على الطموح في تقرير مصير قوميّ نابع من الاضطهاد الاجتماعيّ والسياسيّ الذي واجهه المستعمِرون في بلدان إقامتهم السابقة. وَفقًا لإلكينز وبيدِرْسِن (2005، ص 3)، الحالة الصهيونيّة، مُقارنةً بحالات استعمار استيطانيّ أخرى، هي الحالة الوحيدة الناجحة لبناء أمّة استعماريّة.

ثمّة سِمة أخرى تتميّز بها الحالة الصهيونيّة هي أنّ السرديّة القوميّة الصهيونيّة تتجاهل المصفوفة الإمبرياليّة، وتركّزُ بدلًا من ذلك على سياق مناهَضة الإمبرياليّة. ومن قبيل المفارقة أنّ الأبحاث المستفيضة حول الإمبراطوريّات والاستعمار في العالم، وفي الأكاديميّة الإسرائيليّة، لم يستخدمها الباحثون اليهود الإسرائيليّون في دراسة المجتمع الإسرائيليّ نفسه (شنهاڤ، 2006). في المقابل، يتيح تحليل الصراع اعتمادًا على پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة فهمًا لعلاقات الحركة الصهيونيّة مع المركز المتروپوليتانيّ، وفي مقدّمتها بريطانيا التي أحاطت المشروع الصهيونيّ بالرعاية حتّى بات قابلًا للتطبيق. على ذلك، أنكرت السرديّة الصهيونيّة هذه المصفوفة الإمبرياليّة على الرغم من وعد بلفور سنة 1917، والدعم الكبير الذي تمخّض عنه. اعتبر بعض المستوطنين الاستعماريّين أنفسَهم سكّانًا أصليّين، بل إنّ بعض المجموعات تصوّرت نفسها على أنّها ترزح تحت سيطرة قوّة إمبرياليّة أجنبيّة. وَفقًا لهذه السرديّة المنتشرة، يُنظَر إلى إقامة الدولة في سنة 1948 على أنّها سيرورة لنَيْل

40. ذاك باستثناء حالة الأفارقة الذين استُعبِدوا في البرازيل، والذين تعرّضوا للإبادة الجماعيّة في المستعمَرة قبل أن يصبحوا برازيليّين أفارقة ومهاجرين غير استيطانيّين في المستعمَرة. وكان البرتغاليّون قد جلبوهم من أجل العمل في الاقتصاد الكولونياليّ البرازيليّ واستبدال العمّال البرازيليّين الأصلانيّين. انظروا: (Wolfe, 2016). وفي هذا السياق، أطلق يِفْتَحْئيل (2010)، على ما يبدو بوحي من كتاب مكسيم رودِنسون (1973)، على الكولونياليّة التي تطوّرت في إسرائيل حتّى الأربعينيّات التسميةَ "كولونياليّة اللاجئين".

الاستقلال من الحُكْم البريطانيّ (أُطلق على حرب الـ 1948 التسمية "حرب الاستقلال")، غير أنّ هذا الجانب المناهِض للإمبرياليّة المفترَض هو بمثابة علامة فارقة إضافيّة في الاستعمار الاستيطانيّ، ويتميّز، وَفقًا لڤيراتشيني، بعاملَيْن أساسيَّيْن: الأهمّيّة التي نسبها المستعمِرون إلى استقلالهم عن وكلاء استعمار خارجيّين (الدولة الأمّ)، والسيطرة على السكّان الأصليّين (Veracini, 2010). ومن أجل القول إنّ الإمبراطوريّة البريطانيّة هي بمثابة مكوّن حاسم وَفْق "النظريّة السببيّة الكافية والإمكانيّة الموضوعيّة"[41] التي وضعها ماكس ڤيبر، يكفي أن يُطْرَح السؤال التالي: ماذا كان سيَحْدث لو لم تتلقَّ الحركة الصهيونيّة دعْمَ ومساندة الاستعمار البريطانيّ خلال المراحل الحاسمة من الانتداب، أو لو لم يمنع الاستعمار البريطانيّ تطويرَ مؤسّسات فلسطينيّة ذات سيادة حقيقيّة، ولو لم تُضعف قوّة المجتمع الفلسطينيّ خلال الثورة الكبرى في فلسطين بين الأعوام 1936-1939؟

في الواقع، أحد التقاليد التحليليّة العربيّة والفلسطينيّة المبْكِرة (وفي الإمكان تسميته تقليدًا إمبرياليًّا) (Kayyali, 1977) كان قد تعامل، فعليًّا، مع الدَّوْر الحيويّ الداعم الذي قام به الاستعمار البريطانيّ في إنجاح الحركة الصهيونيّة، ولكن تعاطى هذا التحليل مع الصراع من منظور المصالح الإمبرياليّة حصرًا. ومن هذا المنظور، تفقد الصراعات المحلّيّة أهمّيّتها. في المقابل، يركّز پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة، كما أدّعي، على الاستقلاليّة النسبيّة التي تَمتَّعَ بها المستعمِرون اليهود في مناطق التخوم (قبل إقامة الدولة)، بالمقارنة مع الاستعمار البريطانيّ. أمّا في ما يخصّ الفلسطينيّين، فيسهم تحليل الصراع في إطار پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة في فهم هزيمة العام 1948. إضافة العامل المتروپوليتانيّ، بالتقاطع مع الدَّوْر الذي قامت به عصبة الأمم، تشدّد حقيقة مُفادُها أنّ المشروع الصهيونيّ قد اكتسب معظم قوّته من المتروپوليتانيّة المتفرّقة التي وفّرت الرعاية السياسيّة والكثير من الثروة لدعم المشروع الاستعماريّ.

تطرحُ هذه التمايُزات سلسلةً من الأسئلة، يتعلّقُ أهمّها بالتطوُّر المستقبليّ لحالة التحرّر الفلسطينيّ في ضوء تاريخ الكولونياليّة الاستيطانيّة الصهيونيّة والحاجة إلى تفكيك الاستعمار. فمن ناحية، هناك "هزيمة" المستعمَرين المفترَضة المتجلّية في نموذج الولايات المتّحدة وأستراليا أو كندا (والتي لا ينبغي التسرّع في النظر إليها على أنّها استعمار مُطْلَق أو نهائيّ، أو التعامل مع السكّان الأصليّين على أنّهم مهزومون، وذلك على ضوء استمرار النضال من جانب الشعوب الأصلانيّة)، بخلاف النموذج الجزائريّ، من الناحية الثانية، والذي أظهر هزيمة المستعمِرين وعودتهم إلى محيط الحاضرة.

41. The theory of adequate causation and objective possibility.

لا يُجْمِعُ الأكاديميّون على مسألة شمل الجزائر الفرنسيّة في إطار الكولونياليّة الاستيطانيّة؛ وذلك لسببين أساسيّين: الأوّل أنّ وولف صاغ "الاقتحام كَبِنْية" (Invasion as a structure)، مشدِّدًا على أنّ المستعمِرين قدِموا من أجل البقاء. بينما في حالة الاستعمار الفرنسيّ في الجزائر، عندما هزَم الجزائريّون الفرنسيّين، عاد الفرنسيّون إلى فرنسا، وأصبحت الجزائر أمّةً ما بعد الاستعمار. ثانيًا، لم يسعَ المستعمِرون الفرنسيّون إلى استبدال الجزائريّين على نحوٍ كامل كما كان سائدًا في حالات استعمار استيطانيّ أخرى (Gallois, 2018). تناولت مجلّة "دراسات الكولونياليّة الاستيطانيّة" (2018, 8) في عدد خاصّ ومهمّ "مسألة الكولونياليّة الاستيطانيّة في الجزائر الفرنسيّة"، وجادلت في أهمّيّة شَمْل هذا المثال في إطار الكولونياليّة الاستيطانيّة، غير أنّ عملًا كبيرًا ينبغي أن يُبذل في سبيل رَبْط الجزائر بالبَحْث الأكاديميّ المستمرّ، الذي يتناول الكولونياليّة الاستيطانيّة تحديدًا. لعلّ أكثر ما يثير الاهتمام في هذا النقاش هو القَوْل إنّ الحالة الجزائريّة كانت بمثابة مرجع في السياق السياسيّ الإسرائيليّ ـ الفلسطينيّ. تاريخيًّا، لطالما نظرَ الفلسطينيّون إلى أوجه الشبه مع الجزائر التي مثّلت نموذجًا ناجحًا لنضال من أجل التحرُّر وتفكيك الاستعمار، كما تلقّت منظّمة التحرير الفلسطينيّة التدريبات على يد القوميّين الجزائريّين إبّان السبعينيّات.

في السياق الإسرائيليّ، على الأقلّ بالنسبة لبعض الإسرائيليّين، قضيّة الجزائر تطرح مسألتَيْن متّصلتَيْن. الأولى، قد يعني تفكيك الاستعمار في "أرض إسرائيل" (فلسطين التاريخيّة) هزيمة المستوطنين عبْرَ تحرُّر عنيف يُحتمل أن ينطوي على عودة الإسرائيليّين اليهود إلى الدول التي قَدِموا منها. وترتبطُ المسألة الثانية بتحذير أولئك الذين ينظرون في پَرَدايْم 1967 (أي هؤلاء الذين يرَوْن أنّه يجب حلّ الصراع بإقامة دولة في حدود العام 1967) من انخراط الفلسطينيّين كافّةً في مقاومة مسلّحة في سبيل إنهاء الاحتلال أسوةً بما حصل في أحداث العنف التي شهدتها الجزائر في حرب الاستقلال بين الأعوام 1954-1962. قد لا تجد غالبيّة الإسرائيليّين وجه شبه بين الحالتين، إذ لا ينظر معظم الصهيونيّين إلى أنفسهم على أنّهم مستعمِرون استيطانيّون، وقد يرفضُ آخرون المقارَنة مع الجزائر الفرنسيّة بالنظر إلى مكانتها السابقة كمستعمَرة وراء البحر تابعة للمتبروپولين الاستعماريّ (فرنسا) لا كأرض الأسلاف، حيث عاش الفرنسيّون فيها قبل الجزائريّين، كما يفهم الصهيونيّون حالة (إعادة) الاستيطان اليهوديّ في فلسطين. ثمّة اختلاف آخَر كبير مع الحركة الصهيونيّة (وإسرائيل لاحقًا) يكمن في حقيقة أنّ الفرنسيّين لم يدّعوا وجودَ أماكن مقدَّسة لهم في أرض الجزائر، فيما يزعمُ الصهيونيّون العكس من هذا، حيث يعتقدون بوجود رابط دينيّ ـ تاريخيّ مع "أرض إسرائيل".

وبذلك، تفرضُ حالة البحث الإسرائيليّة _ الفلسطينيّة تحدّيًا؛ إذ لا يمكن للمرء أن يتحدّث بمصداقيّة عن "هزيمة" الشعوب الأصلانيّة (في حين يواصل الفلسطينيّون المقاوَمة والمطالَبة بإعادة صياغة شكل السيادة القائمة في فلسطين)، وكذلك من الصعب التحدّث عن عودة المستوطنين المهاجرين اليهود إلى الدول التي قَدِموا منها، ينبغي تطوير نموذج ثالث لاستدخال إمكانيّة العيش المشترَك لهاتَيْن المجموعتَيْن. يطرح هذا السياق أسئلة حول بنًى بديلة لتلك القائمة على إعطاء امتيازات لليهود، وبالمقابل إخضاع الفلسطينيّين (إمّا تحت الدولة اليهوديّة، أو تحت احتلال عسكريّ)، وحول سيرورات تفكيك الاستعمار التي من الممكن أن تحافظ على الحقوق القوميّة لكلٍّ من الإسرائيليّين _ اليهود والفلسطينيّين. يعكف باحثون فلسطينيّون، مواطنو إسرائيل، وبعضُ المجموعات الأكاديميّة الإسرائيليّة الراديكاليّة، على إنتاج نموذج نظريّ من هذا القبيل.

إلى ذلك، في الإمكان مناقشة جنوب أفريقيا كمبحث إضافيّ يقدّمُ مثالًا على حالة استعمار استيطانيّ وكحالة أپارتهايد، ولا سيّما في ما يتعلّق بالنتائج المستقبليّة للعلاقات بين المستعمِرين والشعب الأصلانيّ على حدٍّ سواء. قَدِمَ المستعمِرون إلى جنوب أفريقيا من أجل البقاء أسوةً بالمستعمِرين في الحالة الجزائريّة، ولم يسعَوْا إلى القضاء على الشعوب الأصلانيّة على نحوٍ كامل، لكنّهم سعَوْا إلى استغلالهم كقوّة عاملة. تسلّط هذه المقارَنات بين الحالات التاريخيّة الضوءَ على الصفات المتباينة في الاستعمار الاستيطانيّ كمشروع متمركز حول الأرض. من هنا، تنبغي الاستفاضة في شرح حالة جنوب أفريقيا: أوّلًا، للطريقة التي تحوّر فيها الاستعمار الاستيطانيّ ليتشكّل ككيان قوميّ جديد، يحمل ميكانزمات نظام أپرتهايد وعزل المجتمع الأصلانيّ داخل چيتوات؛ وثانيًا، لآليّات لجان الحقيقة والمصالحة التي يُزعَم أنّها يسّرت في الانتقال السلميّ نسبيًّا، وعلى الرغم من أنّه يجب كذلك تقييم هذا الهيكل تقييمًا نقديًّا، في حين نوقش المكوّن الأوّل من منظور مقارِن في الحالة الفلسطينيّة (ليس بالضرورة في إطار پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة، وإنّما في إطار الأپرتهايد، وانتشرت في أوساط الناشطين الفلسطينيّين).[42] ومع ذلك، لم ينقَّب عن آليّات تفكيك الاستعمار بدقّة بعد. وقد أجريت مقارنة مع حالة الأپرتهايد بما يتجاوز التوجُّهات القانونيّة، من خلال كلّ من الأدوات الاجتماعيّة والمناهَضة للاستعمار. كذلك إنّ أعمال كلّ من ران چرينشتاين (1995) ومنى يونس (2000) مهمّة جدًّا في هذا الصدد.[43] يتعامل چرينشتاين مع هياكل الطبقة، والهُويّة، وتشكيل الدولة، ويدّعي أنّ حالةَ جنوب أفريقيا السياسيّةَ ظهرت من خلال

42. ومن بين الاستثناءات الدراسةُ المهمّة التي أجراها كلارنو (2017)، والتي دمجَت بين الاستعمار الاستيطانيّ والرأسماليّة في المقارَنة بين الحالتَيْن (Farsakh, 2005; Ghanim & Dakwar, 2018; Pappé, 2015; Zreik, 2004).

43. وتجدر الإشارة إلى أنّه لم يُقْبَل عمل چرينشتاين الزخْم حول الأپرتهايد على نطاق واسع (أي ترجمته ونشره) في العلوم الاجتماعيّة في إسرائيل. ولعلّ أسباب هذا الإقصاء ترجع إلى تصنيفه الحالة الإسرائيليّة _ الفلسطينيّة المعاصرة على أنّها أپرتهايد -وهو نموذج يتحدّى الهيمنة الإسرائيليّة.

أسلوب التضمين (على الرغم من الانقسام بداخله)، بينما في حالة إسرائيل /فلسطين، أصبحت التشكيلات التاريخيّة أكثر إقصائيّة. تعتمد يونس على المقارنة بين حركة التحرير الوطنيّ الفلسطينيّ والمؤتمر الوطنيّ الأفريقيّ في جنوب أفريقيا، حيث تفحص الأدوات المتشابهة التي تستخدمها كلّ مجموعة تحرير (المقاطعة، واللجان الشعبيّة، إلخ)، وتحدّد الإخفاقات النسبيّة لمنظّمة التحرير الفلسطينيّة والسلطة الفلسطينيّة بالمقارنة مع جنوب أفريقيا. كِلا التحليلَيْن مفيدان في ما يتعلّق بالدراسة المقارِنة للمجتمعات الاستعماريّة الاستيطانيّة والمجتمعات الأصلانيّة، حيث يركّزان على سيرورات الدولة والظروف البنيويّة للهرميّة العِرقيّة، وكذلك على التعبئة الشعبيّة وممارسات المقاومة.

من المهمّ التعبير عن الدعم السياسيّ العابر للحدود القوميّة جنبًا إلى جنب مع التوجُّهات الفكريّة من خلال الاعتماد على السياقات التي نجحت في تفكيك الاستعمار، على الرغم من أنّ لكلّ حالة خاصّيّتها. استمدّ الفلسطينيّون الإلهام من النضال ضدّ الأپرتهايد في جنوب أفريقيا. انعكس هذا الإلهام جزئيًّا في أهداف حركة المقاطَعة (BDS) مستمِدّةً الإلهام من الحركة المناهِضة للأپرتهايد في جنوب أفريقيا؛ إذ تنادي حركة المقاطَعة بالضغط على إسرائيل للتقيُّد بالقانون الدوليّ.[44] وقد يُعْزى عدم الانشغال المعمّق في لجنة الحقيقة والمصالحة إلى استمرار الاستعمار الاستيطانيّ في فلسطين، في حين كانت جنوب أفريقيا منغمسة في سيرورة مصالحة. مع ذلك، قد تكون المقارنة مثمرة في إطار تطوير أدبيّات في تفكيك الاستعمار[45] تسعى إلى استكشاف مسارات جديدة في المقاومة، وإيجاد حلول قابلة للتنفيذ مستقبَلًا، على الرغم من أنّه قد لا يكون نموذجًا مثاليًّا وله عدد من المحدوديّات نظرًا لأوجه القصور في الإصلاح الحقيقيّ والتخلُّص من مخلّفات الاستعمار.

طوّرَ المجتمعان اليهوديّ والفلسطينيّ في إسرائيل أواصرَ إنسانيّةً وثيقة، على الرغم من بنْية الاستعمار الاستيطانيّ والعداء الذي يصبح سافرًا إبّان الأزمات تحديدًا. يكشف التحليل الفينومينولوجيّ للّقاء أو المواجهة بين المجتمعَيْن النقابَ عن التعقيد الذي يكتنف علاقاتهما المتشابكة ومتناقضات متعدّدة، ويشير كذلك إلى إمكانيّات نظريّة لتفكيك الاستعمار. بكلمات أخرى، لا تكمنُ أهمّيّة تطوُّر پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة في إظهار الواقع السياسيّ فحسب، وإنّما تكمنُ أيضًا في النظر في إمكانيّات غير مرهونة بالهيمنة البحثيّة والسياسيّة الراهنة. ولأنّ الاستعمار الاستيطانيّ يستحوذ على المستعمِرين والشعب الأصلانيّ على حدٍّ سواء (بمن فيهم الباحثون) في علاقاتهم الهرميّة، فإنّ علم

44. انظروا: ما هي حركة المقاطعة؟ مستقاة بتاريخ (2021/7/17) من: https://bdsmovement.net/what-is-bds.

45. للاستزادة، انظروا: (Golan-Agnon, 2010).

اجتماع المعرفة المفصَّل آنفًا، والفنومينولوجيا التي سوف أعرضها أدناه، يطرحان إمكانيّات لتفكيك علاقات كهذه، ويسلّطان الضوء على بدائل للعيش المشترك.

ما أعنيه بالنهج الأصلانيّ هو ذلك النهج الذي يتضمّن العمل النقديّ للأكاديميّين من الشعوب الأصليّة، الذين يحرصون في أعمالهم المفاهيميّة والفكريّة على إثراء النشاط السياسيّ والخطاب الاجتماعيّ والسياسيّ، وعلى تحدّي العنف المعرفيّ. ويُظهر النهج الأصلانيّ البنْية الكولونياليّة الاستيطانيّة المستمرّة، كما ينعكس هذا النهج على ما تسمّيه كاوانوي "الأصلانيّة الدائمة" للمستعمَرين، لا من أجل ضمان إعلاء الأصوات المستعمَرة في إطار التحليلات الأكاديميّة فحسب، بل من أجل تفكيك الاستعمار الاستيطانيّ، وبناء عدالة سياسيّة كذلك.

لا ينفصل علم الاجتماع، بوصفه ممارسة فكريّة، عن الساحة السياسيّة الأوسع؛ إذ إنّ إنتاج المعرفة مرتبط بالسلطة.[46] رؤيتي هذه مستوحاة من التحليل الماركسيّ، وإن كانت تتجاوزه، وَفقْ الاتّجاهَيْن التاليَيْن: أوّلًا: يقول ماركس وإنجلز (1978) إنّ الأفكار الحاكمة هي ببساطة "تعبير مثاليّ" للعلاقات المادّيّة السائدة. يجب أن نضع هذا في الاعتبار كي نفهم تشكُّل المعرفة المهيمنة. في نهاية المطاف، يسمح الاستعمار الاستيطانيّ للمستوطنين بالسيطرة على الموارد المادّيّة (لا على الطبقة بالمعنى الرأسماليّ فقط) والموارد الثقافيّة والأيديولوجيّة. ومع هذا، وثانيًا: تضيف مداخلة لويس ألثوسير زخْم الثورة/ المقاومة: الفلسفة بطبيعتها أداة سياسيّة للصراع الطبقيّ، ويمكن توسعتها لتشمل المعرفة الأكاديميّة، بصورة عامّة، وصراعات أخرى. يكتب ألثوسير: "في المنطق العلميّ والفلسفيّ، الكلمات (المفاهيم؛ الفئات) هي "أدوات" للمعرفة. لكن في النضال السياسيّ والأيديولوجيّ والفلسفيّ، هذه الكلمات هي كذلك أسلحة، أو متفجّرات، أو مهدِّئات وسموم" (Althusser, 1970). وبهذه الطريقة، يُعَدّ إنتاج المعرفة أداة لا غنى عنها للنضال. يؤكّد ألثوسير أنّه ينبغي على مثقَّفي البروليتاريا أن يقوموا بثورة فكريّة جذريّة من أجل تهيئة وإعداد الطبقة العاملة. ونظرًا لأنّ الاستعمار الكولونياليّ هو مشروع مادّيّ، فإنّني أزعم بطريقة موازية أنّه على المثقّفين النقديّين، ولا سيّما أكاديميّي الشعوب الأصلانيّة، أن يقدّموا تنظيرًا راديكاليًّا، ولا سيّما إذا كان سيضرّ بالجهاز الاستعماريّ. وكما أنّ "الفلسفة الماركسيّة اللينينيّة هي أحد السلاحَيْن النظريَّيْن اللذَيْن لا غنى عنهما في الصراع الطبقيّ للبروليتاريا" (المصدر السابق)، فإنّ البَرَدايْم الكولونياليّ الاستيطانيّ مهمّ وضروريّ في نضال الشعوب الأصليّة من أجل التحرير وإنهاء الاستعمار. وإذا تأمّلنا ماركس وإنجلز وألثوسير معًا، فسيكون بوسعنا أن نفهم على نحوٍ أفضل ضرورة وجود اتّجاهات ومسارات، قد تبدو متباينة، لإنتاج المعرفة الفكريّة التي

46. في حين نجد أنّ أعمال ميشيل فوكو ذات أهمّيّة، وأساسيّة في هذا المجال، إلّا أنّه هو نفسه لا يناقش الاستعمار بهذه الطريقة.

تستند إلى مكانات وخبرات اجتماعيّة وسياسيّة. في حين أنّ الممارسات السياسيّة الأساسيّة (بما في ذلك "عودة التاريخ" والتضامن الدوليّ) هي التي تسمح بالتغيير الفكريّ، فإنّ دَوْر الأكاديميّ (إلى جانب الناشطين) هو تحفيز الأفكار لتغدو أفعالًا سياسيّة، والإسهام في صياغة مشاريع سياسيّة عادلة. وكما تقول يارا هوّاري وشاري پلونسكي وإليان وايزمان (2019)، الإطار الكولونياليّ الاستيطانيّ هو أداة ضروريّة في عمليّة التحرير المناهِضة للاستعمار وإنهاء الاحتلال.

بالتالي، المثقَّف متورّط كمواطن يتحمّل مسؤوليّة كبيرة. وبهذا المعنى، يحدّد أنطونيو چرامشي (1989) دَوْر "المثقّف العضويّ" في مواجهة الهيمنة (بينما الجماهير، بالنسبة له، دائمًا هي التي يمكن أن تعجّل بالثورة). ويرى سعيد (1994) دَوْرًا قويًّا للمثقّف باعتباره شخصًا يمكنه الاعتراض على الاتّفاقيّات والمؤسّسات، والاستثمار المطلق في النقد، لصالح الشعب. هنا أيضًا، يصبح الفكر والنظريّة النسويّان ضروريَّيْن، إذ يمثّل ابتكارهما التحليليّ انعكاسهما على تحويل الفضاء العامّ وصياغة مشروع تحرير نسويّ. في تقاليد الفكر النسويّ، تعمل المعرفة على تحديد الظروف البنيويّة والبنى الاجتماعيّة للنوع الاجتماعيّ، وانتقاد السلطة الذكوريّة والنظام الأبويّ، وتركيز ومَوْضَعة الذاتيّة التي كانت غائبة غيابًا كبيرًا عن الكثير من النقد الفكريّ في المركز (Rubin, 1975). ومن المؤكّد أنّ هذا ليس خروجًا عن النضال بفعل الظروف المادّيّة، بل هو وسيلة للتفكير في أُطُر إضافيّة تعمل على هَيْكَلَة المجتمع: النوع الاجتماعيّ، والجنسانيّة، والعِرْق، والتي هي تشكيلات فرضيّة تتفاعل، وتتقاطع على نحوٍ متباين عبْر المناطق الجغرافيّة والزمنيّة.[47] وكما أوضحت رايوين كونيل في عملها عن النسويّة، فإنّ تداول المعرفة أمر سياسيّ؛ وغالبًا يكون التعليم الأداة الأكثر أهمّيّة في التنافس على الهيمنة (Magaraggia & Connell, 2012). وفي سياق مماثل، يجب أن ندرك أنّ تداول البَرَدايْم الكولونياليّ الاستيطانيّ لا يسهم في توجيه الاتّهام إلى بنى السلطة فحسب، بل يتصدّى، بطريقة مختلفة، للوجود في العالم، وهو نموذج للعلاقات، والنظريّات الاجتماعيّة القائمة على أساس التخلُّص من الامتيازات الاستعماريّة، وتصوُّر مستقبل عادل للجميع.

عدسة تفكيك الاستعمار نحو فينومينولوجيا علاقات الفلسطينيّين مواطني إسرائيل والمجتمع الإسرائيليّ

غالبًا ما أعاق الحكمُ العسكريّ (1948-1966)، وما رافقه من تقييدات الحركة التي فُرِضت على الفلسطينيّين مواطني إسرائيل، تطويرَ علاقات مباشرة بين الفلسطينيّين واليهود في

47. انظروا، على سبيل المثال: البيان الجماعيّ لنهر كومباهي (2012).

إسرائيل. أخذت هذه العلاقات في التطوُّر رويدًا رويدًا إبّان الستّينيّات، وذلك مع التراجع التدريجيّ والنسبيّ للرقابة على الفلسطينيّين في الحيّز العامّ، كالجامعات والكلّيّات والمستشفيات. يلاحَظ انتشار العلاقات المتبادلة بين الإسرائيليّين والفلسطينيّين على نطاق أكثر اتّساعًا في ما يُعْرف بِـ "المدن المختلطة". طوّر الفلسطينيّون في إسرائيل منظورًا داخليًّا وخارجيًّا على حدٍّ سواء (على الصُّعُد الاجتماعيّ والثقافيّ والسياسيّ) تجاه الإسرائيليّين اليهود من خلال علاقات شخصيّة، ومهنيّة وعائليّة، ومن خلال كونهم جزءًا من النسيج الاجتماعيّ والسياسيّ في إسرائيل، غَيْر أنّ هذه العلاقات لم تترسّخ. أسهمت مشاركة الفلسطينيّين في الجهاز السياسيّ في إسرائيل، إلى حدٍّ كبير، في بلْوَرة فهمهم للمجتمع الآخر، مجتمع يعرفون لغته وثقافته أفضل بكثير ممّا يعرفه اليهود الإسرائيليّون عن المجتمع الفلسطينيّ.

ثمّة اختلاف ملحوظ في اللقاء أو المواجَهة بين الفلسطينيّين في إسرائيل والإسرائيليّين اليهود من جهة، واللقاء أو المواجَهة بين الإسرائيليّين اليهود والفلسطينيّين في المناطق المحتلّة سنة 1967 من جهة أخرى؛ وذلك لأنّ اللقاء الثاني يرتكز على احتلال عسكريّ تدور رحاه على الحواجز، ومن خلال تضييق الخناق، وفي السجون، ومواجهات مباشرة مع الجنود والمستوطنين. ينظر هؤلاء الفلسطينيّون إلى اليهود والمستوطنين في المقام الأوّل، وبحقّ، كأعداء ومستعمِرين. أمّا بالنسبة للفلسطينيّين في إسرائيل، فلا مناص لهم من التعاطي مع المجتمع اليهوديّ الإسرائيليّ، وذلك بحكم مواطَنتهم التي تفرض عليهم الاحتكاك اليوميّ به، وفي جميع الأطر: كزملاء، وزبائن، ومرضى، ومعالِجين، وأطبّاء، وطلبة، ومدرّسين، ممّا يضفي على العلاقات الثنائيّة مزيدًا من التركيب.

لا ينسحب هذا التعقيد في العلاقات بين الفلسطينيّين مواطني إسرائيل واليهود الإسرائيليّين على اللاجئين في الشتات؛ إذ ينظر اللاجئون إلى اليهود الإسرائيليّين على أنّهم غُزاة استولَوْا على بيوتهم وعلى وطنهم. يَعتبر كثير من اللاجئين الفلسطينيّين أنّ الزمن قد توقّف عند سنة 1948. ففي دراسة أَجْراها ياسر سليمان (2016)، وعندما طُلِب إلى فلسطينيّين في الشتات وَصْف تصوُّرهم بشأن فلسطين وحياتهم في المنفى، يمكن الاستدلال من إجاباتهم أنّهم تخيّلوا فلسطين بلا وجود يهوديّ. على الرغم من أنّهم يعتبرون اليهود الإسرائيليّين غُزاةً ومحتلّين، لم يشكّل الوجود اليهوديّ اليوميّ جزءًا من وعيهم لدى تصوُّرهم فلسطين. لكن ثمّة احتمال أن نحصل على نتائج مغايِرة لدى طرح الأسئلة نفسها على الفلسطينيّين في إسرائيل. تبلوُر مفهوم الوقت والحيّز عند الفلسطينيّين في إسرائيل، جزئيًّا، من خلال التواصل المتبادل مع اليهود الإسرائيليّين في حيّز فلسطينيّ، مرّ في سيرورة تحوُّل عميقة -وإن كانت غير مكتملة- من الطمس والتدمير.

على ضوء هذا، يمكن أن نفهم لماذا كان الفلسطينيّون في إسرائيل في طليعة المجموعات الفلسطينيّة التي تقدّمت بتصوُّر دولة ثنائيّة القوميّة في نهاية التسعينيّات (روحانا، 1999؛ غانم، 1999)، وطرحت نقاشًا فكريًّا حول إمكانيّات تحوُّل المستوطنين إلى "أصلانيّين" (Zreik, 2016)، واستخدمت إطار إزالة الاستعمار لصياغة بدائل تاريخيّة للمصالحة (Rouhana, 2018) مع اعتماد نموذج دولة ثنائيّة القوميّة بوصفه إطارًا أخلاقيًّا وعمليًّا (بشير، 2009).[48] أدّعي أنّ هذه الاقتراحات ما هي سوى انعكاس لتَمَوْقُع هذه المجموعة سياسيًّا بكونها تتمتّع بِـ "امتيازات"[49] مقارَنةً بالفلسطينيّين الرازحين تحت احتلال أو اللاجئين، وكذلك لأنّها تتمتّع بإمكانيّة التفكُّر في مكانة المستعمِرين ومستقبلهم، على الرغم من منظومة الدولة القمعيّة إزاءهم، وانخراط المواطنين اليهود في هذه المنظومة القمعيّة.

قد يكون الفلسطينيّون مواطنو إسرائيل قد طوّروا توجُّهات، هي الأكثر بروزًا، في المقاومة الشعبيّة، بالمقارنة مع المجتمعات الفلسطينيّة الأخرى (الفلسطينيّين الذين في الأراضي المحتلّة، واللاجئين). يملك الفلسطينيّون في إسرائيل، باعتبارهم أقلّيّة، مصلحة بنيويّة لإنهاء المنظومة الكولونياليّة الاستيطانيّة، والاحتفاظ بالمنافع الاقتصاديّة والمهنيّة التي اكتسبوها كمواطنين.

ينظر الميثاق الوطنيّ الفلسطينيّ لمنظّمة التحرير الفلسطينيّة إلى اليهود في فلسطين على أنّه مجتمع دينيّ لا مجموعة قوميّة. وفي المقابل، يطوّر عدد من الباحثين والباحثات الفلسطينيّين في إسرائيل حاليًّا پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة تزامنًا مع طرحهم نقاشًا حول الحاجة إلى الاعتراف بالمجتمع اليهوديّ _ الإسرائيليّ مجموعةً قوميّة في إطار تفكيك الاستعمار، وبضرورة أن يتخلّى الإسرائيليّون اليهود عن الامتيازات التي وفّرها لهم النظام الكولونياليّ. يميّز الباحثون في خِضَمّ هذا النقاش بين الاعتراف بالصهيونيّة والاعتراف بما ولّدته. لقيت ادّعاءات هؤلاء الباحثين شيئًا من التأييد في أوساط إسرائيليّة وفلسطينيّة في الضفّة الغربيّة والشتات. بَيْدَ أنّه ثمّة فلسطينيّون في الضفّة الغربيّة المحتلّة غالبًا ما وجّهوا

48. تعزّزت هذه الاتّجاهات، برأيي، بسبب التواصل مع باحثين من الزملاء الإسرائيليّين اليهود، الذين يسعَوْن إلى تشجيع النقاش بشأن الحقوق السياسيّة لليهود في فلسطين في إطار إنهاء الاستعمار والقوميّة الثنائيّة (Raz-Krakotzkin, 2011; Shenhav, 2012).

49. وذلك بالرغم من التمَوْضُع المختلف داخل هذه المجموعة. على سبيل المثال، يعاني الفلسطينيّون البدو، في الجنوب، من العُنف المكانيّ المستمرّ، ويعيشون تحت طائلة خطر الترحيل بغية السيطرة على الأرض التي يعيشون فيها، وتوطين إسرائيليّين يهود عوضًا عنهم، على الرغم من أنّهم يناضلون في سبيل حماية وجودهم.

انتقادات،[50] ومن الممكن تفهُّمها، إزاءَ هذه المواقف التي تتجسّد -في ما تتجسّد- في وثائق التصوُّر المستقبليّ التي نشرتها مؤسّسات فلسطينيّة في إسرائيل، وتُناقش حقوقَ اليهود الإسرائيليّين الجماعيّةَ.[51]

لقد طوّرَ الفلسطينيّون مواطنو إسرائيل، وَفقًا لمصطلحات پيير بورديو، رأسمالًا ثقافيًّا واجتماعيًّا، يستخدمونه لدراسة إسرائيل والصهيونيّة. نسبةٌ وازنةٌ من الفلسطينيّين عامّةً ممّن يدرسون إسرائيل والصهيونيّة هم فلسطينيّون مواطنو إسرائيل، وهؤلاء على دراية كبيرة بالثقافة الإسرائيليّة، ويتقنون اللغة العبريّة، ويتمتّعون بسهولة نسبيّة في الوصول إلى الأرشيفات الإسرائيليّة، ومنخرطون في البحث والمشاريع الأكاديميّة في إسرائيل، وهم أيضًا منغمسون في مشاريع تُجرى في الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة سنة 1967، ونذكر منهم باحثين في: مدار: المركز الفلسطينيّ للدراسات الإسرائيليّة في رام الله، ومسارات: المركز الفلسطينيّ لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجيّة في رام الله، والمركز الفلسطينيّ للأبحاث في رام الله، وبرنامج الدراسات الإسرائيليّة لطلبة الماجستير في جامعة بير زيت.

من الجدير بالإشارة أنّه لا تجد فعليًّا توجُّهات موازية في المجتمع الإسرائيليّ اليهوديّ، حتّى على الصعيد الأكاديميّ. يصوِّر غالبيّة اليهود أنفسهم على أنّهم أصحاب الوطن الحصريّون، ولا يعتبرون وجودهم فيه وجود مستعمِرين. فضلًا عن هذا، هم لا يعترفون بأصلانيّة الشعب الفلسطينيّ، بما في ذلك حقوق الفلسطينيّين الجمعيّة في إسرائيل بوصفهم مجموعة قوميّة. ينظر اليهود الإسرائيليّون، في أفضل الأحوال، إلى الفلسطينيّين في إسرائيل على أنّهم غرباء مع مواطَنة إسرائيليّة تمنحهم حقوقًا سياسيّةً ليبراليّة داخل الدولة اليهوديّة.

ما الذي يمكن أن يتغيّر إذا جرى تبنّي البَرَدايْم الكولونياليّ الاستيطانيّ على نطاق أوسع داخل المجتمع الإسرائيليّ؟ لا أسعى، في هذا المقام، إلى تكريس نظرة جوهرانية ترى

50. يمكننا أن نجد مثل هذه الانتقادات في المؤتمر السنويّ الثالث، الذي دعا إليه مركز "مسارات: المركز الفلسطينيّ لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجيّة في رام الله"، في العام 2014. عرض روحانا ورقةً بعنوان: "المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ: نحو استعادة الإطار الكولونياليّ الاستيطانيّ"، مستقاة بتاريخ (2021/7/17)، من الرابط الإلكترونيّ: https://www.youtube.com/watch?v=tgXB_im1Mvw . وفي وقت لاحق كان روحانا قد نشر هذه المداخلة على هيئة مقالة (روحانا، 2014). ناقش كلّ من روحانا وزريق (الذي أجاب عن ورقته) الأهمّيّة المذكورة للاعتراف بحقوق اليهود الجماعيّة كمكوّن حيويّ ومهمّ في صياغة المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الأجواء أخذت في التغيُّر في السنوات القليلة الماضية، مع زيادة الوعي لدى المزيد من الفلسطينيّين (في الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة عام 1967، وفي الشتات) بأهمّيّة التفكير في الوجود اليهوديّ _ الإسرائيليّ في أُطُر جديدة لإنهاء الاستعمار.

51. على سبيل المثال، جاء في وثيقة حيفا، سنة 2007، ما يلي: "[...] ونقدّم تصوُّرنا لشروط المصالحة التاريخيّة وللمستقبل الذي نصبو إليه في العلاقة بين الشعب الفلسطينيّ والشعب اليهودي الإسرائيليّ [...]، وتتطلّب منّا هذه المصالحة التاريخيّة، نحن الفلسطينيّين والعرب، الاعتراف بحقّ الشعب اليهوديّ الإسرائيليّ بتقرير مصيره، والعيش مع الشعب الفلسطينيّ وسائر شعوب المنطقة بسلام وكرامة وأمان". انظروا:
https://www.mada-research.org/wp-content/uploads/2020/06/wathekat-haifaarabic.pdf.
مستقاة بتاريخ (2021/7/17).

الاستعمار الاستيطاني حتميّا وانما أقدم توجُّها إپستمولوجيّا: ثمّةَ شروطٌ محدّدةٌ قد تسمح للمستعمِرين أن يَحيدوا عن موقفهم، وأن يتنازلوا عن موقعهم الاستعماريّ وعن امتيازاتهم، وأن يَشْرعوا في حِوار مرتكز على المساواة. قد تُسهِمُ مثلًا معرفة اللغة العربيّة، كإحدى لغات الحيِّز المشترك، في عمليّة تفكيك الاستعمار أو تسريعها.

الخاتمة

تُشكِّلُ نظريّات ما بعد الصهيونيّة، وعلم الاجتماع النقديّ، وما بعد الاستعمار، وپَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة، أربعةَ توجُّهات في البحث الذي يتناول إسرائيل /فلسطين. نشأت التوجُّهات الثلاثة الأولى في مجتمع الاستعمار الاستيطانيّ نفسه. في المقابل، تبلور التوجُّه الرابع عبْر موقعه المميَّز: على هامش إطار المجتمع الاستيطانيّ (وكذلك في هذا الإطار). وفي إطار المرحلة الراهنة المتجدّدة من پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة في إسرائيل، يفكّر الباحثون في سُبل لدمج نظريّة أصلانيّة ومفاهيم في أبحاث تاريخيّة وأبحاث متعلّقة بعلم الاجتماع في العلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة والدراسات القانونيّة، متَحَدّين بذلك جذور مشروع الاستعمار الاستيطانيّ. من الصعب التغاضي عن التحالف بين المعرفة والقوّة؛ إذ يمكن أن يكون التلاقح بين النظريّةِ المناهضة للاستعمار التي يقودها الباحثون والباحثات الأصلانيّات، والممارسةِ السياسيّة (Praxis) التي تتناول الپَرَدايْم الكولونياليّ الاستيطانيّ، وسيلةً نحو تحقيق العدل.

بَيْدَ أنّ پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة ما يزال قيد التطوير، والكثير من العمل لم يُنجز بعد لتأسيسه وتعزيزه. ينبع أحد الانتقادات المبرَّرة الموجَّهة إلى هذا الپَرَدايْم من تركيزه على التنظير بشأن المستعمِرين وممارساتهم الاستعماريّة، والذي، في المقابل، يُعيد إنتاج تهميش الشعب الأصلانيّ. يدّعي بعض النقّاد ضرورة التركيز، بشكل أكبر، على دراسات الشعوب الأصلانيّة، وتسليط الضوء على تاريخها، وتجاربها، ومقاومتها، وعلى معارفها، لا على إبادتها، أو على البنْية بحدّ ذاتها. في هذا الصدد، تدّعي بركات (2018)، ووايور (2015)، وكاوانوي (2016)، وأكاديميّون آخرون من أبناء الشعوب الأصليّة، أنّ الكولونياليّة الاستيطانيّة، بوصفها هيكليّة مجرّدة، لا تتيح المجال أمام طَرْح الديناميكيّة المستمرّة منذ أجيال للمقاومة والتخلّص من الاستعمار. ويدّعي كلّ من هؤلاء الباحثين والباحثات أنّ أبحاث الكولونياليّة الاستيطانيّة لا ينبغي أن تَحلّ مكان دراسات الشعوب الأصليّة كما حصل أحيانًا في الأكاديميا الأمريكيّة.

ثمّة انتقادٌ آخَرُ على درجة من الأهمّيّة ينصَبُّ على مَأْسسة الپَرَدايْم كمجال بحث فرعيّ منفرد يمنع الارتباط مع مجالات بحثيّة أخرى، كالإمبرياليّة والتشكيلات الاجتماعيّة (Vimalassery

et al., 2016). لا ينبغي أن يحلّ البَرَدايْم الكولونياليّ الاستيطانيّ مكان دراسات الشعوب الأصليّة، بل يجب استكمال التنظير من خلال تحديد الممارسات الاستيطانيّة والمنظومة التي تُنتِج الديناميكات الكولونياليّة الاستيطانيّة ماديًّا وثقافيًّا بصورة مستمرّة. وعلى الصعيد نفسه، إضفاء الطابع الأكاديميّ على "قضيّة فلسطين"، دون وجود مشروع تحرير متماسك، يخاطر بتقديم الاستعمار الاستيطانيّ على أنّه مجرّد نقاش مفاهيميّ، قد يجعل فلسطين والفلسطينيّين مجرّد أهداف للبحث والتنظير. وفي ضوء تراجع الحركات السياسيّة، إلى جانب انقسام القيادة الفلسطينيّة في الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة عام 1948 وعام 1967، ينبغي أن تكون المعرفة والتنظير مقترنَيْن بممارَسة (بالمفهوم الماركسيّ) لتحرير جميع الفلسطينيّين، أو أن يُنتجا على أنّهما مقترنان بالممارَسة.

صحيح أنّ البَرَدايْم الكولونياليّ الاستيطانيّ يتضمّن توجُّهات مختلفة، إلّا أنّ تفضيل عدسة السكّان الأصليّين قد يغيّر، على نحوٍ خاصّ، الصورة التي يجري بها تناول الحالة الفلسطينيّة /الإسرائيليّة وتوجُّهات مختلِف الأطراف الفاعلة. قد تعيد المعرفة الفلسطينيّة تشكيل النقاش من خلال إعادة توجيه النقد للتركيز على كلّ من مسائل الذوات والبنى. بالنسبة للفلسطينيّين، مواطني إسرائيل، الإسرائيليّون اليهود هم أولئك الذين يشاركونهم بعض المساحات والتفاعلات المشتركة (Consociates) وهم كذلك أولئك الأبعد، والذين لا يلتقونهم يوميًّا (Contemporaries) (Itzigsohn & Brown, 2020; Schutz, 196). المواطَنة هي مجال من الحيّز السياسيّ المشترك، وإن يكن حيّزًا غير متساوق. وبالتالي، يتمتّع المواطنون الفلسطينيّون بِـ "بصيرة ثانية" خاصّة، يجري تمكينها من خلال "الوعي المزدوج"، الذي يتطلّب نوعًا من الامتياز الإپستمولوجيّ (Du Bios, 1994; Mohanty, 2013). من خلال هذه "البصيرة الثانية"، يتوجّه الفلسطينيّون وغيرهم من الأصلانيّين نحو إجراء الأبحاث والدراسات. هذه ليست دعوة للتشديد على سياسة الهُويّات، بل طرح ما يمكن أن تُفرزه معارف الشعوب الأصلانيّة، لا من خلال الهُويّة فحسب، بل كذلك من خلال موقعيّتهم. الموقعيّة الاجتماعيّة والسياسيّة هي علائقيّة ووظيفيّة، وذاتيّة، كما هو الحال في الأبحاث والدراسات التي تؤثّر على إنتاج المعرفة. نتيجة التعامل والمواجَهة مع المستعمِرين المستوطنين وجهاز الدولة، يقوم بعض الفلسطينيّين في إسرائيل بالتنظير النقديّ تجاه الكولونياليّة الاستيطانيّة، ويعملون على تفكيكه. فمثلما استمدّ دو بوا التحليل الميكرو للذاتيّة، والتحليل الماكرو للكولونياليّة والرأسماليّة، من موقعه في تلك التشكيلات، بوسع الأكاديميّين الفلسطينيّين الاعتماد على علاقاتهم الفيمنولوجيّة وحضورهم الوجوديّ كنقطة انطلاق. تداوُل المعرفة داخل الأوساط والمجتمعات الفكريّة العالميّة، وفي ما بينها، هو الذي سيعزّز تحليل المجتمعَيْن الإسرائيليّ والفلسطينيّ من خلال البَرَدايْم الكولونياليّ الاستيطانيّ.

ما زال من المبْكِر التنبُّؤ بشأن ما إذا كان پَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة يمتلك القوّة لتحدّي الهيمنة الصهيونيّة في مجالات بحثيّة مختلفة. بَيْدَ أنّ التحوُّلات التاريخيّة والسياسيّة في السياق الإسرائيليّ _ الفلسطينيّ جعلت من الصعب الاستمرار في تجاهله أو صرف النظر عنه. أوّلًا، لارتباط صعوده والتأسيس له في الوعي الفلسطينيّ بالتحوّل الذي طرأ على العلاقات السياسيّة بين الفلسطينيّين مواطني إسرائيل ودولة إسرائيل. ثانيًا، يختلف المشهد الأكاديميّ الراهن عن ذاك الذي ساد في عهد المؤرّخين الجدد، وعلم الاجتماع النقديّ، ودراسات ما بعد الاستعمار. آنذاك، لم تكن النقاشات التي تناولت العام 1948، والنكبة، وذاكرة التهجير، جزءًا من مشروع سياسيّ. أمّا اليوم، فإنّ دَوْر الأكاديميّين والطلبة الفلسطينيّين في إسرائيل -كالحضور الفلسطينيّ السياسيّ الجماعيّ في حدّ ذاته- آخِذٌ في البروز أكثر. حتّى الآن، بقي هذا الحضور نتاج عمل مجموعة صغيرة من الأكاديميّين، إلّا أنّ أعدادهم آخذة في الازدياد بوتيرة سريعة. يعود هذا الازدياد جزئيًّا إلى حقيقة أنّ المشروع يحظى ببحث جماعيّ، ويجري بالتعاون مع أكاديميّين عالميّين وليس بحثًا نظريًّا على نطاق ضيّق لأفراد يعملون كلّ على حِدَة. يستمرّ أكاديميّون فلسطينيّون (وبعض الأكاديميّين الإسرائيليّين) في تحدّي السرديّة الصهيونيّة على الرغم من التقييدات والقيود السياسيّة المتزايدة، والمفروضة على الحرّيّة الأكاديميّة في إسرائيل.

أحد التحدّيات التي تواجه هؤلاء الأكاديميّين هو مسألة التغلُّب على مَوْقَعة أو حَصْر البَحْث القائم حول فلسطين _ إسرائيل في سياقه المحلّيّ. سيتطلّب ذلك إجراء المزيد من الأبحاث حول الحالات الكولونياليّة الاستيطانيّة الأخرى، وإنتاج أشكال من المعرفة ذات صلة بالتشكيلات الأخرى المقترنة بالدراسات الأصلانيّة. لطالما كانت فلسطين مرتعًا للأنواع المختلفة من القمع، والهيمنة، والمقاوَمة، وكذلك لتشكيل الجماعات الوطنيّة. فهل بوسع الپَرَدايْم الكولونياليّ الاستيطانيّ أن يطرح إضاءات جديدة على دراسة المستعمَر، على غرار عمل وتأثير المثقّفين المناهِضين للاستعمار، أمثال فرانز فانون، ودو بوا، وإيمي سيزير، حيث جرى -على سبيل المثال- توظيف الإنتاج المعرفيّ لتحدّي البنى القمعيّة القائمة والمهيمنة، واستحداث مقاربات نظريّة جديدة للبحث؟ إنّ ما يتيحه الپَرَدايْم الكولونياليّ الاستيطانيّ هو الاعتراف بأنّه على الرغم من الاختلافات بين الحالات الكولونياليّة الاستيطانيّة؛ فالقاسم المشترَك بينها أنّها ذات روابط عابرة للدول وعابرة للتاريخ في ما يتعلّق بدَوْر الإمبرياليّة والاستعمار في تشكيل العديد من البنى السياسيّة العالميّة.

من مهامّ عالِم الاجتماع العامّ (Public sociologist) تحديدُ العوامل المتشابهة، وتلك المختلفة، لفهم مدى تدميريّة الحَوْكمة الكولونياليّة الاستيطانيّة، وتوصيفُ بنى القوّة المتشابهة التي تتجاوز السياقات الاستعماريّة العينيّة، لصياغة نضالات جماعيّة من أجل

التحرير. هنا يمكن أن يُفْضي حِوارٌ ناجع بين النظريّة الاجتماعيّة _ السياسيّة وبَرَدايْم الكولونياليّة الاستيطانيّة إلى سُبُل جديدة في إنتاج المعرفة النقديّة، فلا يُكتفى بكسر العنف المعرفيّ، بل يتجاوزه الأمر إلى إيجادِ مسارات بديلة للواقع الكولونياليّ الاستيطانيّ المدمِّر، وتسهيلِ التحوُّل السياسيّ نحو التحرُّر وإنهاء الاستعمار. يمكن للبَرَدايْم الكولونياليّ الاستيطانيّ، مقترنًا بنظريّة السكّان الأصليّين، أن يشكّل أساسًا لسياسات مختلفة. وهذه السياسات المختلفة لا تسهم في إنتاج مشروع موجّه نحو العدالة الاجتماعيّة فحسب، بل كذلك في بناء مشروع يرمي إلى زعزعة امتيازات المستعمِرين والمستعمِرات وَ "براءتهم"، ويسعى إلى إنصاف السكّان الفلسطينيّين وتعويضهم (Tuck & Yang, 2012). كذلك يمكن للبَرَدايْم الكولونياليّ الاستيطانيّ أن يجدّد الزخْم ويبثّ الروح في مشروع تحرُّر الفلسطينيّين من واقعهم الاستعماريّ، وتحرُّر الإسرائيليّين من ذاتيّتهم الاستعماريّة وامتيازاتهم، مع إدراك الأبعاد العميقة لاستفادة المستعمِر مادّيًّا من المشروع الاستعماريّ. هذه المقارَبة تزعزع لبّ المنطق المادّيّ (بالمفهوم الماركسيّ)، الذي يكمن في الاستعمار المستمرّ –مثل استبدال السكّان، وسلب الأراضي- بدلًا من مجرّد التعامل مع المسائل الإثنيّة أو الدينيّة أو القوميّة فقط. وأخيرًا، أزعم أنّ المعرفة قادرة على تحويل الوجود المادّيّ، مع الوعي بعمق محدوديّة الفكر أو النظريّات لتغيير الظروف المادّيّة إذا اقترنت بمشروع سياسيّ. يحمل البَرَدايْم الكولونياليّ الاستيطانيّ إمكانيّة التنظير لِما يجب أن يكون عليه المجتمع العادل والمتحرّر من الاستعمار في المستقبل.

المراجع

إلچازي، چادي. (2017). سابقًا في أوروبا: أفكار حول الكولونياليّة الاستيطانيّة، في العصور الوسطى والحديثة. **أزمان** ("زمانيم")، 137. ص 116-133. [بالعبريّة]

إلچازي، چادي. (2018). قضيّة اللاجئين: بين نكبة 1948 وحرب 1967. **مجلّة الدراسات الفلسطينيّة**، 113(29). بيروت: مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة. ص 90-106.

بشارة، عزمي. (1993). حول مسألة الأقلّيّة الفلسطينيّة في إسرائيل. **نظريّة ونقد** ("تِئوريا أُفِكُورِتْ")، 3. القدس: معهد ڤان لير. ص 7-20. [بالعبريّة]

بشارة، عزمي. (1997). مائة عام على الصهيونيّة، من جدليّة الوجود إلى جدليّة الجوهر. **مجلّة الكرمل**، 53. ص 11- 20.

بشارة، عزمي. (1999). مائة عام على الصهيونيّة. **نظريّة ونقد** ("تِئوريا أُفِكُورِتْ")، 21-31. القدس: معهد ڤان لير. ص 507-522. [بالعبريّة]

بشير، بشير. (2009). **دولة ثنائيّة القوميّة في إسرائيل /فلسطين: حلّ أخلاقيّ وعمليّ**. المؤتمر السنويّ الثالث: نحو إستراتيجيّة فلسطينيّة قادرة على تحقيق الأهداف الوطنيّة الفلسطينيّة (ص 132 - 138). رام الله: مركز بدائل - المركز الفلسطينيّ للإعلام والأبحاث والدراسات.

چابيزون، روت. (1998). الدولة اليهوديّة والديمقراطيّة: التحدّيات والمخاطر. لدى: مناحيم، موتنر؛ وآڤي، ساچي؛ ورونين، شَمير (محرّرون). **التعدُّديّة الثقافيّة في دولة يهوديّة ديمقراطيّة: كتاب لذكرى أرئيل روزين-تْسْڤي** (ص 213-278). تل أبيب: جامعة تل أبيب، راموت للنشر. [بالعبريّة]

راز-كْراكوتْسْكين، أمنون. (2007). دولة يهوديّة وديمقراطيّة: ستّ وجهات نظر، القسم 3. لدى: يوڤيل، يِرْمِياهو (محرّر). **الزمن اليهوديّ الجديد: ثقافة يهوديّة في عصر علمانيّ: منظور موسوعيّ**، المجلّد الرابع (ص 507-511). [بالعبريّة] مستقاة من:
https://kotar.cet.ac.il/KotarApp/Viewer.aspx?nBookID=69569485#456.8431.8.fitwidth

رام، أوري. (2017). علم الاجتماع في أيّام نتنياهو: اتّجاهات نقديّة في علم الاجتماع الإسرائيليّ في بداية القرن الحادي والعشرين. **اتّجاهات** ("مِچَمُوتْ")، ن.أ[31](2). ص 13-68. [بالعبريّة]

روحانا، نديم. (1999). خيار الدولة الثنائيّة القوميّة. لدى: سارة، أوستسكي-لازار؛ أسعد، غانم؛ وإيلان، پاپِه (محرّرون). **الطرق السبعة: الخيارات النظريّة حول مكانة العرب في إسرائيل** (ص 243-269). چڤعات حڤيڤا: معهد دراسات السلام. [بالعبريّة]

روحانا، نديم. (2014). المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ: نحو استعادة الإطار الكولونياليّ الاستيطانيّ. **مجلّة الدراسات الفلسطينيّة**، 25(97). بيروت: مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة. ص 18-36.

سموحا، سامي. (1999). خيار الوضع الراهن: إسرائيل كديمقراطيّة إثنيّة - دولة يهوديّة _ ديمقراطيّة. لدى: سارة، أوستسكي-لازار؛ أسعد، غانم؛ وإيلان، پاپِه (محرّرون). **الطرق السبعة: الخيارات النظريّة حول مكانة العرب في إسرائيل** (ص 23-77). چڤعات حڤيڤا: معهد دراسات السلام. [بالعبريّة]

شارون، سمدار. (2018). **"هكذا يُحتلّ الوطن": التخطيط والاستيطان في منطقة لخيش في الخمسينيّات**. حيفا: پرديس. [بالعبريّة]

شنهاڤ، يهودا. (2004). **الكولونياليّة والحالة ما بعد الكولونياليّة**. القدس وتل أبيب: معهد ڤان لير والكيبوتس الموحَّد. [بالعبريّة]

شنهاڤ، يهودا. (2006). مساحات السيادة، الاستثناء وحالة الطوارئ: أين اختفى التاريخ الإمبرياليّ؟ **نظريّة ونقد** ("تِئوريا أُفِكُورِتْ")، 29. ص 205-218. [بالعبريّة]

شنهاڤ، يهودا. (2011). **في مصيدة الخطّ الأخضر**. رام الله: مدار - المركز الفلسطينيّ للدراسات الإسرائيليّة.

شنهاڤ، يهودا؛ ودلاشة، ميسلون؛ وأَڤْنيمِيلِخ، رامي؛ ومزراحي، نِسيم؛ ومِنْدِل، يونَتان. (2015). **معرفة اللغة العربيّة بين اليهود في إسرائيل**. القدس: معهد ڤان لير. [بالعبريّة]

غانم، أسعد. (1999). دولة ثنائيّة القوميّة، فلسطينيّة _ إسرائيليّة على كلّ مساحة إسرائيل /فلسطين ومكانة مواطني إسرائيل العرب في هذا النظام. لدى: سارة، أوستسكي-لازار؛ أسعد، غانم؛ وإيلان، پاپِه (محرّرون). **الطرق السبعة: الخيارات النظريّة حول مكانة العرب في إسرائيل** (ص 271-303). چڤعات حڤيڤا: معهد دراسات السلام. [بالعبريّة]

غانم، هُنَيْدة. (2016). من الكوبَنِيَّة إلى البؤرة: جينيالوجيا [أصل] المفهمة الفلسطينيّة للاستيطان اليهوديّ في فلسطين /إسرائيل. **نظريّة ونقد** ("تِئوريا أُفِكُورِتْ")، 47. ص 15-39. [بالعبريّة]

كِمِرْلينج، باروخ؛ ومِجْدال، يوئيل. (1999). **الفلسطينيّون: شعب في تكوينه**. القدس: كُتار.

المسيري، عبد الوهّاب. (1992). **الأيديولوجيّة الصهيونيّة: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة**. الكويت: المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب.

مصالحة، نور الدين. (1992). **طرد الفلسطينيّين: "مفهوم الترانسفير" في الفكر والتخطيط الصهيونيَّيْن، 1882-1948**. بيروت: مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة.

مصالحة، نور الدين. (1997). **أرض أكثر وعرب أقلّ: سياسة "الترانسفير" الإسرائيليّة في التطبيق 1949-1996**. بيروت: مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة.

هشاش، يالي. (2017). كلّنا يهود: حول "القمامة البيضاء"، الشرقيّون وهوامش متعدّدة داخل الهيمنة. **نظريّة ونقد** ("تِئوريا أُفِكُورِتْ")، 48. القدس: معهد ڤان لير. ص 249-264. [بالعبريّة]

هلال، جميل. (2015-2016). سرّ استعصاء الدولة الفلسطينيّة. **شؤون فلسطينيّة**، 262-263. مركز الأبحاث في منظّمة التحرير الفلسطينيّة. ص 31-40. مستقاة من:
https://drive.google.com/file/d/1c5d8OgfPuesYYhmMjIaXo9vfrUi29ffn/view

هوفشطاطِر، نوعَم؛ ويَڤني، ليئور. (2016). **مسألة توجُّه (منالِيّة): العوائق التي تَحُول دون وصول الجمهور إلى الأرشيفات الحكوميّة**. تل أبيب: آثار -معهد دراسة الصراع الإسرائيليّ _ الفلسطينيّ. [بالعبريّة]

يِفْتَحْئيل، أورِن. (2000). "الإثنوقراطيّة" والجغرافيا والديمقراطيّة: ملاحظات على سياسة تهويد الأرض. **ألفان** ("أَلپايِمْ")، 19. ص 78-105. [بالعبريّة]

يِفْتَحْئيل، أورِن. (2010). الفلسطينيّون في إسرائيل: "العلاقات بين الأغلبيّة والأقلّيّة" والوضع الاستعماريّ. **الدولة والمجتمع** ("مِدِيناه ڤِحِڤْراه")، 7(1). ص 141-158. [بالعبريّة]

Abdo, Nahla. (1992). Racism, Zionism and the Palestinian working class, 1920-1947. **Studies in Political Economy**, 37(1). Pp. 59–92.

Abdo, Nahla. (2011). **Women in Israel: Race, gender and citizenship**. London: Zed Books. Pp. 100-144.

Abdo, Nahla, & Yuval-Davis, Nira. (1995). Palestine, Israel, and the Zionist settler project. In Stasialus, Daiva & Yuval-Davis, Nira (Eds.). **Unsettling settler societies: Articulations of gender, race, ethnicity and class** (pp. 291-323). London: Sage.

Abed-al-Jawad, Saleh. (n.d.). **Sociocide: A new concept to explain the Zionist and Israeli policy toward the Palestinian people**. [Unpublished manuscript].

Abu-Lughod, Lila. (2020). Imagining Palestine's alter-natives: Settler colonialism and museum politics. **Critical Inquiry**, 47(1). Pp. 1–27.

Abu-Lughod, Ibrahim, & Abu-Laban, Baha. (Eds.). (1974). **Settler regimes in Africa and the Arab world: The illusion of endurance**. Illinois: Medina University Press International.

Abu-Rabia-Queder, Sarab. (2019). The biopolitics of declassing Palestinian professional women in a settler-colonial context. **Current Sociology**, 67(1). Pp. 141–158.

Abu-Saad, Ismael. (2008). Spatial transformation and indigenous resistance: The urbanization of the Palestinian Bedouin in southern Israel. **American Behavioral Scientist**, 51(12). Pp. 1713–1754. https://doi.org/10.1177/0002764208318928

Algazi, Gadi. (2015, December). **Settler colonialism: Some problems** [Lecture]. Settler Colonialism and Zionism, Mada al-Carmel's annual workshop. Palestine: Ramallah.

Algazi, Gadi. (2017, March 3-4). **Profits of military rule**. 4th annual new directions in Palestinian studies: The politics of archives and the practices of memory, Brown University, Rhode Island.

Allen, Lori. (2019). Subaltern critique and the history of Palestine. In Didier, Fassin, & Bernard, E. Harcourt (Eds.). **A time for critique** (pp. 153–173). New York: Columbia University Press. https://www.jstor.org/stable/10.7312/fass19126.12.

Althusser, Louis. (1970). Philosophy as a revolutionary weapon. **New Left Review**, 64. https://newleftreview.org/issues/i64/articles/louis-althusser-philosophy-as-a-revolutionary-weapon.

Barakat, Rana. (2018). Writing/righting Palestine studies: Settler colonialism, indigenous sovereignty and resisting the ghost(s) of history. **Settler Colonial Studies**, 8(3). Pp. 349–363. https://doi.org/10.1080/2201473X.2017.1300048.

Blatman-Thomas, Naama. (2017). Commuting for rights: Circular mobilities and regional identities of Palestinians in a Jewish-Israeli town. **Geoforum**, 78. Pp. 22–32. https://doi.org/10.1016/j.geoforum.2016.11.007

Clarno, Andy. (2017). **Neoliberal apartheid: Palestine/Israel and South Africa after 1994**. Chicago: University of Chicago Press.

Collins, Patricia H. (1986). Learning from the outsider within: The sociological significance of black feminist thought. **Social Problems**, 33(6). Pp. s14-s32. https://doi.org/10.2307/800672.

Combahee River Collective. (2012). The Combahee River Collective statement. In Keeanga-Yamahtta, Taylor (Ed.). **How we get free: Black feminism and the Combahee River Collective** (pp. 15-27).

Coulthard, Glen S. (2014). **Red skin, white Masks: Rejecting the colonial politics of recognition**. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Du Bois, William. E. B. (1994). **The souls of black folk**. New York: Dover (Original work published 1903).

Ehrlich, Avishai. (1978). The crisis in Israel, danger of fascism? **Khamsin**, 5. Mazpen: The socialist organization in Israel. http://www.matzpen.org/english/1978-07-10/the-crisis-in-israel-danger-of-fascism-avishai-ehrlich.

Elkins, Caroline, & Pedersen, Susan. (2005). Introduction: Settler colonialism: A concept and its uses. In Elkins, Caroline & Pedersen, Susan (Eds.). **Settler colonialism in the twentieth century: Projects, practices, legacies** (pp. 1–20). New York and London: Routledge.

Elmessiri, Abdelwahab M. (1977). **The land of promise: A critique of political Zionism**. New Brunswick, NJ: North American.

Erakat, Noura. (2019). **Justice for some: Law and the question of Palestine**. Stanford: Stanford University Press.

Fanon, Frantz. (1952). **Black skin, white Masks**. London: Pluto Press.

Fanon, Frantz. (2004). **The wretched of the earth** (R. Philcox, Trans.). New York: Grove Press.

Farsakh, Leila. (2005). Independence, cantons, or bantustans: Whither the Palestinian state? **The Middle East Journal**, 59(2). Pp. 230–245. https://doi.org/10.3751/59.2.13.

Fieldhouse, David K. (1966). **The colonial empires: A comparative survey from the eighteenth century**. New York: Delacorte Press.

Flapan, Simha. (1987). **The birth of Israel: Myths and realities**. New York: Pantheon books.

Fredrickson, George M. (1981). **White supremacy: A comparative study in American and South African history**. New York: Oxford University Press.

Furani, Khaled, & Rabinowitz, Dan. (2011). The ethnographic arriving of Palestine. **Annual Review of Anthropology**, 40(1). Pp. 475–491. https://doi.org/10.1146/annurev-anthro-081309-145910.

Gallois, William. (2018). The destruction of the Islamic state of being, its replacement in the being of the state: Algeria, 1830–1847. **Settler Colonial Studies**, 8(2). Pp. 131–151. https://doi.org/10.1080/2201473X.2016.1273864.

Ghanem, As'ad; Rouhana, Nadim, & Yiftachel, Oren. (1998). Questioning "Ethnic democracy": A response to Sammy Smooha. **Israel Studies**, 3(2). Pp. 253–267. https://www.jstor.org/stable/30245721.

Ghanim, Honaida, & Dakwar, Azzar (Eds.). (2018). **Israel and the Apartheid: A comparative study**. MADAR- The Palestinian Forum for Israeli Studies.

Golan-Agnon, Daphna. (2010). Between human rights and hope—What Israelis might learn from the Truth and Reconciliation process in South Africa. **International Review of Victimology**, 17(1). Pp. 31–48. https://doi.org/10.1177/026975801001700103.

Gordon, Neve, & Ram, Moriel. (2016). Ethnic cleansing and the formation of settler colonial geographies. **Political Geography**, 53. Pp. 20–29.

Gramsci, Antonio. (1971/1989). **Selections from the prison notebooks of Antonio Gramsci** (Quintin, Hoare, & Geoffrey N. Smith, Eds.). New Yor: International Publisher.

Greenstein, Ran. (1995). **Genealogies of conflict: Class, identity, and state in Palestine/Israel and South Africa**. Hanover and London: University Press of New England.

Grinberg, Lev L. (2009). Speechlessness: In search of language to resist the Israeli "Thing Without a Name". **International Journal of Politics, Culture, and Society**, 22(1). Pp. 105–116. https://doi.org/10.1007/s10767-009-9043-2.

Halbrook, Stephen. (1972). The class origins of Zionist ideology. **Journal of Palestine Studies**, 2(1). Pp. 86–110. https://doi.org/10.2307/2535975.

Hanafi, Sari. (2009). Spacio-cide: Colonial politics, invisibility and rezoning in Palestinian territory. **Contemporary Arab Affairs**, 2(1). Pp. 106–121. https://doi.org/10.1080/17550910802622645.

Hawari, Yara; Plonski, Sharri, & Weizman, Elian. (2019). Seeing Israel through Palestine: Knowledge production as anti-colonial praxis. **Settler Colonial Studies**, 9(1). Pp. 155–175. https://doi.org/10.1080/2201473X.2018.1487129

Hilal, Jamil. (1976). Imperialism and settler colonialism in West Asia: Israel and the Arab Palestinian struggle. **Utafiti Journal**, 11. Pp. 51–69.

Itzigsohn, José, & Brown, Karida. (2020). **The sociology of W. E. B. Du Bois: Racialized modernity and the global color line**. New York: NYU Press.

Jabbour, George. (1970). **Settler colonialism in Southern Africa and the Middle East**. Beirut: Palestine Liberation Organization.

Jamal, Amal. (2002). Beyond "Ethnic democracy": State structure, multicultural conflict and differentiated citizenship in Israel. **New Political Science**, 24(3). Pp. 411–431. https://doi.org/10.1080/0739314022000005437.

Kauanui, Kēhaulani J. (2016). 'A structure, not an event': Settler colonialism and enduring indigeneity. **Lateral**, 5(1). Retrieved from https://csalateral.org/issue/5-1/forum-alt-humanities-settler-colonialism-enduring-indigeneity-kauanui.

Kayyali, Abdul-Wahab. (1977). Zionism and imperialism: The historical origins. **Journal of Palestine Studies**, 6(3). Pp. 98–112. https://doi.org/10.2307/2535582.

Kedar, Alexandre; Amara, Ahmad, & Yiftachel, Oren. (2018). **Emptied lands: A legal geography of bedouin rights in the Negev**. Stanford: Stanford University Press.

Khalidi, Rashid. (1997). **Palestinian identity: The construction of modern national consciousness**. New York: Columbia University Press.https://doi.org/10.7312/khal92238.

Khalidi, Rashid. (2020). **The hundred's year war on Palestine: A history of settler colonialism and resistance, 1917–2017**. New York: Metropolitan Books.

Kimmerling, Baruch. (1983). **Zionism and territory: The socio-territorial dimension of Zionist politics**. Berkeley: Institute of International Studies, University of California.

Kimmerling, Baruch. (2003). **Politicide: Ariel Sharon's war against the Palestinians**. London: Verso.

Lentin, Ronit. (2018). **Traces of racial exception: Racializing Israeli settler colonialism**. London: Bloomsbury Academic.

Lloyd, David. (2012). Settler colonialism and the state of exception: The example of Palestine/Israel. **Settler Colonial Studies**, 2(1). Pp. 59–80.

Lockman, Zachary. (2012). Land, labor, and the logic of Zionism: A critical engagement with Gershon Shafir. **Settler Colonial Studies**, 2(1). Pp. 9–38.

Lustick, Ian. (2019). **Paradigm lost: From two state solution to one state reality.** Philadelphia: University of Pennsylvania Press

MacLeod, Scott. (1987, June 11). **An Interview with Yasser Arafat**. https://www.nybooks.com/articles/1987/06/11/an-interview-with-yasser-arafat/.
Magaraggia, Sveva, & Connell, Raewyn. (2012). Gender in theory and practice: An interview with Raewyn Connell. **Feminist Review**, 102. Pp. 116–124. https://www.jstor.org/stable/41819642.

Mikdashi, Maya. (2013). What is settler colonialism? (for Leo Delano Ames Jr.) **American Indian Culture & Research Journal**, 37(2). Pp. 23–34.

Mamdani, Mahmood. (2015). Settler colonialism: Then and now. **Critical Inquiry**, 41(3). Pp. 596–614. https://doi.org/10.1086/680088.

Masri, Mazen. (2017). Colonial imprints: Settler-colonialism as a fundamental feature of Israeli constitutional law. **International Journal of Law in Context**, 13(3). Pp. 388–407.

Marx, Karl, & Engels, Friedrich. (1978). The German Ideology. In Tucker, Robert C. (Ed.). **The Marx-Engels Reader** (2nd ed.). New York: Norton.

Mohanty, Chandra T. (2013). Transnational feminist crossings: On neoliberalism and radical critique. **Signs**, 38(4). Pp. 967–991. https://doi.org/10.1086/669576.

Morris, Benny. (1988). **The birth of the Palestinian refugee problem, 1947-1949** (2nd. Edition). Cambridge: Cambridge University Press.

Nasasra, Mansour. (2012). The ongoing Judaisation of the Naqab and the struggle for recognising the indigenous rights of the Arab Bedouin people. **Settler Colonial Studies**, 2(1). Pp. 81–107. https://doi.org/10.1080/2201473X.2012.10648827.

Nazzal, Nafez. (1978). **The Palestinian exodus from Galilee, 1948** (No. 49). Beirut: Institute for Palestine Studies.

Pappé, Ilan. (1992). **The making of the Arab-Israeli conflict**, **1947-1951**. London and New York: I.B. Tauris

Pappé, Ilan. (2008). Zionism as colonialism: A comparative view of diluted colonialism in Asia and Africa. **South Atlantic Quarterly**, 107(4). Pp. 611–633. https://doi.org/10.1215/00382876-2008-009.

Pappe, Ilan. (2013). Revisiting 1967: The false paradigm of peace, partition and parity. **Settler Colonial Studies**, 3(3–4). Pp. 341–351. https://doi.org/10.1080/2201473X.2013.810699.

Pappé, Ilan (Ed.). (2015). **Israel and South Africa: The many faces of Apartheid**. London: Zed Books.

Penslar, Derek J. (2007). **Israel in history: The Jewish state in comparative perspective**. New York and London: Routledge. Pp. 111–190.

Piterberg, Gabriel. (2013). The Zionist colonization of Palestine in the context of comparative settler colonialism. In Davis, Rochelle, & Kirk, Mimi (Eds.). **Palestine and the Palestinians in the 21st century** (pp. 15–34). Indiana: Indiana University Press.

Ram, Uri. (1993). The colonization perspective in Israeli sociology: Internal and external comparisons. **Journal of Historical Sociology**, 6(3). Pp. 327–350. https://doi.org/10.1111/j.1467-6443.1993.tb00052.x.

Ram, Uri. (1995). **The changing agenda of Israeli sociology: theory, ideology, and identity**. State University of New York Press.

Ram, Uri. (2011). **Israeli nationalism: Social conflicts and the politics of knowledge**. New York and London: Routledge.

Raz-Krakotzkin, Amnon. (2011). Separation and Bi-nationalism. **Jadal**, 10. Pp. 1–4. http://mada-research.org/en/files/2011/06/jadal10/eng/amnon-raz-jadal10-eng.pdf

Robinson, Shira. (2013). **Citizen strangers: Palestinians and the birth of Israel's liberal settler state**. Stanford: Stanford University Press.

Rodinson, Maxime. (1973). **Israel: A Colonial–Settler state**. New York: Monad Press.

Rouhana, Nadim. (1997). **Palestinian citizens in an ethnic Jewish state**. New Haven: Yale University Press.

Rouhana, Nadim N. (2018). Decolonization as reconciliation: Rethinking the national conflict paradigm in the Israeli-Palestinian conflict. **Ethnic and Racial Studies**, 41(4). Pp. 643–662. https://doi.org/10.1080/01419870.2017.1324999.

Rouhana, Nadim, & Sabbagh-Khoury, Areej. (2014). Settler-Colonial citizenship: conceptualizing the relationship between Israel and its Palestinian citizens. **Settler Colonial Studies**, 5(3). Pp. 1–21.

Rouhana, Nadim, & Sabbagh-Khoury, Areej. (2019). Memory and the return of history in a Settler-Colonial context: The case of the Palestinians in Israel. **Interventions**, 21(4). Pp. 527–550. https://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/1369801X.2018.1558102.

Rubin, Gayle. (1975). The traffic in women: Notes on the "political economy" of sex. In Reiter, Rayan (Ed.). **Toward an Anthropology of Women** (pp. 157–210). Monthly Review Press.

Sabbagh-Khoury, Areej. (In press). **Socialist Zionism, settler colonial practice and memory**. Stanford: Stanford University Press.

Sabbagh-Khoury, Areej. (2022). Tracing settler colonialism: A genealogy of a paradigm in the sociology of knowledge production in Israel. **Politics & Society**, 50(1). Pp. 44–83. DOI: 10.1177/0032329221999906

Sa'di, Ahmad. H. (2012). Colonialism and surveillance. In Ball, Kirstie; Haggerty, Kevin, & Lyon, David (Eds.). **Routledge handbook of surveillance studies** (pp. 151–158). New York and London: Routledge.

Said, Edward. (1979a). **Orientalism**. New York: Vintage Books.

Said, Edward. (1979b). **The Question of Palestine**. New York: Vintage Books.

Said, Edward. (1979c). Zionism from the Standpoint of Its victims. **Social Text**, 1(1). Pp. 7–58.

Said, Edward. (1984). Permission to narrate. **Journal of Palestine Studies**, 13(3). Pp. 27–48.

https://doi.org/10.2307/2536688.

Said, Edward. W. (1994). **Representations of the intellectual: The 1993 Reith Lectures**. New York: Pantheon Books.

Salamanca, Omar Jabary; Qato, Menza; Rabie, Kareem, & Samour, Sobhi. (2012). Past is present: Settler colonialism in Palestine. **Settler Colonial Studies**, 2(1). Pp. 1–8.

Sayegh, Fayez A. (1965). **Zionist colonialism in Palestine**. Beirut: Research Center - Palestine Liberation Organization.

Sayigh, Rosemary. (1979). **Palestinians: From peasants to revolutionaries: a people's history**. London: Zed Books.

Seikaly, Sherene. (2015). **Men of capital: Scarcity and economy in mandate Palestine**. Stanford: Stanford University Press.

Schutz, Alfred. (1967). **The phenomenology of the social world** (Transl. by George Walsh and Frederick Lehnert). Illinois: Northwestern University Press.

Shafir, Gershon. (1989). **Land, labor and the origins of the Israeli–Palestinian conflict, 1882-1914**. Cambridge: Cambridge Univeristy Press

Shafir, Gershon, & Peled, Yoav. (2002). **Being Israeli: The dynamics of multiple citizenship**. Cambridge: Cambridge University Press.

Shalhoub-Kevorkian, Nadera. (2014). Human suffering in colonial contexts: Reflections from Palestine. **Settler Colonial Studies**, 4(3). Pp. 277–290. https://doi.org/10.1080/2201473X.2013.859979.

Shapira, Anita. (1999). **Land and power: The Zionist resort to force, 1881-1948**. Stanford: Stanford University Press.

Shenhav, Yehuda. (2012). **Beyond the Two-State solution: A Jewish political essay**. Cambridge and Malden Polity Press.

Shihade, Magid. (2012). Settler colonialism and conflict: The Israeli state and its Palestinian subjects. **Settler Colonial Studies**, 2(1). Pp. 123-108.

Shlaim, Avi. (1999). The debate about 1948. In Pappé, Ilan (Ed.). **The Palestine/ Israel question: A reader** (pp. 171–192). New York and London: Routledge.

Shohat, Ella. (2004). The "Postcolonial" in translation: Reading Said in Hebrew. **Journal of Palestine Studies**, 33(3). Pp. 55–75. https://doi.org/10.1525/jps.2004.33.3.055.

Simpson, Audra. (2014). **Mohawk interruptus: Political life across the borders of settler states**. Durham: Duke University Press.

Smith, Linda T. (1999). **Decolonizing methodologies: Research and indigenous peoples**. London: Zed Books.

Stasiulis, Daiva, & Yuval-Davis, Nira. (1995). Introduction: Beyond dichotomies—gender, race, ethnicity and class in settler societies. In Stasiulis, Davia, & Yuval-Davis, Nira (Eds.). **Unsettling settler societies: Articulations of gender, race, ethnicity and class** (pp. 1–37). London: Sage.

Suleiman, Yasir. (2016). **Being Palestinian: Personal reflections on Palestinian identity in the Diaspora**. Edinburgh: Edinburgh University Press.

Svirsky, Marcelo, & Ben-Arie, Ronnen. (2017). **From shared life to co-resistance in historic Palestine**. London: Rowman and Littlefield International.

Tatour, Lana. (2019). The culturalisation of indigeneity: The Palestinian-Bedouin of the Naqab and indigenous rights. **The International Journal of Human Rights**, 23(10). Pp. 1569–1593. https://doi.org/10.1080/13642987.2019.1609454.

Tuck, Eve, & Yang, Wayne K. (2012). Decolonization is not a metaphor. **Decolonization: Indigeneity, Education & Society**, 1(1). Pp. 1–40.

Veracini, Lorenzo. (2010). **Settler colonialism: A theoretical overview**. New York: Palgrave Macmillan.

Veracini, Lorenzo. (2013). The other shift: Settler colonialism, Israel, and the occupation. **Journal of Palestine Studies**, 42(2). Pp. 26–42. https://doi.org/10.1525/jps.2013.42.2.26.

Vimalassery, Manu; Pegues, Juliana H., & Goldstein, Alyosha. (2016). Introduction: On colonial unknowing. **Theory & Event**, 19(4). https://muse.jhu.edu/article/633283.

Warrior, Robert. (2015, October). **Settler colonial studies and native American and indigenous studies: A position paper**. ASA Annual Conference, San Diego, California.

Weizman, Eyal, & Sheikh, Fazal. (2015). **The conflict shoreline: Colonization as climate change in the Negev desert**. Steidl.

Wolfe, Patrick. (1999). **Settler colonialism and the transformation of anthropology: The poetics of an ethnographic event**. London: Cassell.

Wolfe, Patrick. (2006). Settler colonialism and the elimination of the native. **Journal of Genocide Research**, 8(4). Pp. 387–409.

Wolfe, Patrick. (2016). **Traces of history: Elementary structures of race**. London: Verso. Pp. 239–270.

Younis, Mona. (2000). **Liberation and democratization: The South African and Palestinian national movements**. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Zreik, Raef. (2004). Palestine, apartheid, and the rights discourse. **Journal of Palestine Studies**, 34(1). Pp. 68–80. https://doi.org/10.1525/jps.2004.34.1.68.

Zreik, Raef. (2016). When does a settler become a native? (With apologies to Mamdani). **Constellations**, 23(3). Pp. 351–364.

Zureik, Elia. (1979). **The Palestinians in Israel: A study in internal colonialism**. New York and London: Routledge and Kegan Paul.

Zureik, Elia. (2016). **Israel's colonial project in Palestine: Brutal pursuit**. New York and London: Routledge/Taylor & Francis Group.

يأتي هذا الكتاب حصيلةً للمشروع الذي بادر إليه مدى الكرمل، والذي جمع من خلاله كوكبةً من الأكاديميّين والمحاضرين وطلبة دراسات عليا فلسطينيّين يدرسون في جميع أنحاء فلسطين ضمن ثلاث ورشات دراسيّة امتدّت كلّ منها على مدار سنة. جمَعَ هؤلاء الباحثين الانشغالُ السياسيُّ والأكاديميُّ في فهم الصهيونيّة بوصفها مشروع استعمار استيطانيّ، وفي بحث آليّات هذا المشروع وفرضيّاته وأُسُسه الفكريّة والدينيّة والسياسيّة. كذلك ناقشت الورشات التحوّلات التي مرّ ويمرّ فيها المشروع الصهيونيّ جرّاء فشله، منذ بداياته الأولى، في إخضاع المقاومة الفلسطينيّة المستمرّة على جميع أشكالها.

يأتي كُتّاب وكاتبات المقالات من حقول معرفيّة مختلفة، ويعيشون سياقات جغرافيّة وسياسيّة وقانونيّة وأكاديميّة مختلفة. قارَبَ بعض الكتّاب الصهيونيّةَ ومشروعَها الاستعماريَّ مقارَبةً تاريخيّة، بينما قرأها آخَرون من زاوية ممارساتها على من يعيش في ظلّ منظومتها إمّا داخل أرضه، وإمّا مهجَّرًا داخل بلده، أو خارجها. بعض المقالات بحثت في مقاومة المشروع، أو في الوعي المقاوِم لهذا المشروع. وقد عُنِيَ بعضها الآخَر بتحليل المنظومة نفسها، واشتباك بُعدها الاستعماريّ الاستيطانيّ مع البعدَيْن الدينيّ والقوميّ أو الإنتاج المعرفيّ حولها من قِبل مؤسَّستها الأكاديميّة أو مقاوميها. وقد قرأتْ بعضُ المقالات هذا المشروعَ قراءةً مقارِنةً مع سياقات عربيّة أو عالميّة أخرى.

يُسهم الكتاب في النقاش الدائر حول مكان دراسات الاستعمار الاستيطانيّ في فهم طبيعة الدولة الإسرائيليّة، وفي تطوير إستراتيجيّات فلسطينيّة للتحرُّر على ضوء هذا الفهم.

مدى الكرمل – المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية، هو مؤسسة بحثية مستقلة غير ربحية تأسست عام 2000 في مدينة حيفا. يهتم مدى الكرمل بالتنمية البشرية والقومية في المجتمع، ويهدف إلى تشجيع البحث التطبيقي والنظري حول الفلسطينيين في إسرائيل. ويركز مدى الكرمل على سياسة الحكومة والاحتياجات الاجتماعية والتربوية والاقتصادية للمواطنين الفلسطينيين في إسرائيل وعلى الهوية القومية والمواطنة الديمقراطية. ويسعى المركز إلى توفير قاعدة مؤسساتية ومناخ فكري لدراسة احتياجات الفلسطينيين في إسرائيل ومستقبلهم الجماعي وعلاقتهم بإسرائيل وبباقي أجزاء الشعب الفلسطيني والعالم العربي. كما يسعى إلى تدريب جيل جديد من علماء الاجتماع والسياسة الفلسطينيين على توجهات نقدية في الدراسات الفلسطينية والإسرائيلية.

Zionism and Settler Colonialism: Palestinian Approaches
Edited by: Nadim N. Rouhana and Areen Hawari
ISBN: 978-965-7308-28-8